البـــاب الرابع

متفرقات
خطب وعهود ورســـائل شتى

obeikandl.com

obeikandl.com

بين معـاوية وعمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية فى بعض أيامنا بصفين خرج فى عدة لم أره خرج فى مثلها ، فوقف فى قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل فيبدر إليه من يسده ، ثم يفعل ذلك بميسرته ، فتغنيه اللحظة عن الإشارة فدخله زهو مما رأى ، فقال :

يابن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هُمْ عليه ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحداً تَأَنَّىٰ له من طاعة رعيته ما تأَنَّىٰ لك من هؤلاء .

فقال : أَفَتَدْرى متى يفْسد هذا ؟ وفى كم ينتقض جميعه ؟ قلت : لا قال : فى يوم واحد . قال : فأَكثَرتُ التعجب . فقال : إى والله ، وفى بعض يوم .

قلت : وكيف ذلك ياأمير المؤمنين ؟

قال : إذا كُذِبُوا فى الوعد والوَعِيد . وأُعْطُوا على الهوىٰ لاعلى الغناء ، فَسَدَ جَميع ما ترى .

***

خطبة سعيد بن سويد

خطب سعيد بن سويد بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس . إن للإسلام حائطاً منيعاً ، وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحق ؛ وبابه العدل ، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قَضَاءً بالحق وأخذاً بالعدل .

***

عهد أبى عبيدة لأهل دمشق

ثم خالد بن الوليد لفتح دمشق فدخلها من جهته (١) عنوة . فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب فالتقى خالد والقواد فى وسطها ثم كتب لهم أبوعبيدة كتاب الصلح وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب لأبى عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لانحدث فى مدينة دمشق ولافيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قلاية (٢) ولاصومعة راهب ، ولانجدد ماخرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان فى خطط (٣) المسلمين ، ولانمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها فى الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ، ولانؤوى فيها ولا فى منازلنا جاسوساً ،ولانكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لانضرب على نواقيسنا إلا ضرباً خفياً فى جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ، ولانرفع أصواتنا فى صلاتنا وقراءتنا فى

---

(١) لما سار المسلمون إلى دمشق نزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى ، وعمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبى سفيان على باب كيسان .

(٢) من بيوت عبادة النصارى كالصومعة .

(٣) الأراضى التى يختطونها لأنفسهم .

كنائسنا ، ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا ، ولانخرج باعوثاً ولا شعانين(١) ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولانظهر النيران معهم فى أسواق المسلمين ، ولانجاورهم بالخنازير ، ولانبيع الخمور ، ولا نظهر شركاً فى نادى المسلمين ، ولا نرَغِّب مسلماً فى ديننا ، ولاندعوا إليه أحداً ، وعلى أن لانتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول فى الإسلام ، وأن نلزم ديننا حيث كنا ، ولانتشبه بالمسلمين فى لبس قلنسوة ولاعمامة ولانعلين ، ولا فرق شعر ، ولا فى مراكبهم ، ولانتكلم بكلامهم ، ولانتسمى بأسمائهم ، وأن نَجُزَّ مقادم رؤوسنا ، ونفرق نواصينا ونشد الزنانير (٢) على أوساطنا وأن لاننقش فى خواتيمنا بالعربية ، ولانركب السروج ولانتخذ شيئاً من السلاح ، ولانجعله فى بيوتنا ، ولانتقلد السيوف ، وأن نوقر المسلمين فى مجالسهم ، ونرشدهم الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولانطَّلع عليهم فى منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولانشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نُضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لانشتم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده .

ضمنَّا ذلك على أنفسنا وذرارينا وأرواحنا ومساكننا ، وإن نحن غيَّرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك ، وقبلنا الأمان عليه ، فلا ذمَّة لنا ، وقد

---

(١) الباعوث عند النصارى مثل الاستسقاء عندنا ، والشعانين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع .

(٢) ما يشد على وسط النصارى والمجوس ، مفرده : زنار ، كرمان .

حل لك منا ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملّتنا ، فأقرونا فى بلادكم التى ورثكم الله إياها .

شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى بالله شهيدا .

***

كتاب أبى حازم الأعرج الى الزهرى

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت حجج الله تعالى مما حمّلك من كتابه ، وفقّهك فيه من دينه ، وفهمك من سنة نبيك – صلى الله عليه وسلم – فرمى بك فى كل نعمة أنعمها عليك ، وكل حجة يحتج بها عليك . وقد قال تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ، ولَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) (١) .

* انظر ... أى رجل تكون إذا وقفت بين يدى الله – عز وجل – فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها ، وعن حججه عليك كيف قضيتها ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغرير ، ولا قابلا منك التقصير ، هيهات ليس كذلك .

* أخذ على العلماء فى كتابه إذ قال : (لتُبَيِّنُنَّه للناس وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم) (٢)... الآية

* إنك تقول إنك جدل ، ماهر عالم ، قد جادلت الناس فجدلتهم ، وخاصمتهم فخصمتهم ، إدلالا منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ، فأين

---

(١) إبراهيم : ٧ (٢) آل عمران : ١٨٧

تذهب من قول الله عز وجل:(هَا أَنْتُم هٰؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ الله عَنْهُم يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)(١) ... الآية

* اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقبت ، أن آنست الظالم ، وسهلت له طريق الغيِّ بدنوك حين أُدنيت ، وإجابتك حين دُعِيت ، فما أخلقك أن تبوءَ بإثمك غداً مع الجمعة ، وأن تُسئَل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة .

* إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، ودنوت ممن لايردُّ على أحد حقاً ، ولا ترك باطلا حين أدناك ، وأجبت من أراد التَّدْليس بِدُعائه إياك حين دعاك .

* جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسُلَّماً إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيِّهم ، سالكاً سبيلهم ، يُدْخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم تبلغ أخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم ، إلا دون مابلغت من إصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامة إليهم ، فما أيسر ما عمَّروا لك فى جنب ماخَرَّبوا عليك ، وما أقل ما أعطوك فى كثير ما أخذوا منك ، فانظر لنفسك فإنه لاينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

* وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنِعَمِه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه فى الناس بخيلا ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيرا ، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً .

* مالك لاتنتبه من نفسك ، وتستقيل من عثرتك ، فتقول : – والله ماقمت لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ، ولا أُميت له فيه باطلا ، إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه .

---

(١) النساء : ١٠٩

ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم :

(فَخَلف مِنْ بَعْدهم خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُون عرضَ هٰذَا الأَدْنَىٰ)(١)... الآية

* إنكْ لست فى دار مقام ، قد أُذنت بالرحيل ، مابقاءُ المرءِ بعد أقرانه ، طُوبىٰ لِمَنْ كان مع الدنيا على وجل ، ويابؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

* إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلا أنْ تردفه على ظهرك . ذهبت اللذة وبقيت التبعة ، ما أشقى من سعد بكسبه غيره ، احذر فقد أُتيت ، وتخلص فقد أُدهيت ، إنك تعامل من لايجهل والذى يحفظ عليك لايغفل .

* تجهز ، فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد ولاتحسبن أنى أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك ، ولكنى أردت أن تنبش مافات من رأيك ، وترد عليك ماعزب عنك من حلمك ، وذكرت قوله تعالى :

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ) (٢).

* أغفلْتَ ذكر مَنْ مضىٰ من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم كقرن أعضب ، فانظر هل ابتُلُوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا فى مثل ما دخلت فيه ، وهل تراه ادخر لك خيراً مُنِعُوه ، أو علمك علماً جهلوه ، بل جهلت ما ابتليت به من حالك فى صدور العامة ، وكَلَفهم بك أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا ، وإن حرَّمت

---

(١) الأعراف : ١٦٩ (٢) الزاريات : ٥٥

حرموا ، وليس ذلك عندك ، ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما فى يديك ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب الدنيا منك ومنهم .

* أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغِرَّة ، وما الناس فيه من البلاء والفتنة . ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه مثل الذى بلغت ، فوقعوا بك فى بحرلايدرك قعره ، وفى بلاء لا يقدر قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله تعالى على يدى أوليائه لأوليائه الخامل ذكرهم ، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

« إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَخْفِيَاءَ الأَتْقِيَاءَ الأَبْرِيَاءَ الذِينَ إِذَ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُم مَصَابِيح الهُدَىٰ ، يخْرجُونَ مِنْ كلِّ فِتْنَة سَوْدَاءَ مُظْلِمَة » فهؤلاء أولياءُ الله الذين قال تعالى فيهم : (أُولَٰئِكَ حِزْبُ الله ، أَلا إِنَّ حزْب الله هُمُ الْمفْلِحُونَ)(١) .

وجاه يجريه الله تعالى على يدى أعدائه لأوليائه ، ومقة يقذفها الله فى قلوبهم لهم ، فيعظمهم الناس بتعظيم أُولئك لهم ، ويُرَغِّب الناس فيما فى أيديهم لرغبة أُولئك فيه إليهم (أُولَٰئِكَ حِزْب الشَّيْطَان ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيطَان هُمُ الخَاسِرُونَ) (٢).

* وما أخوفنى أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه فى دينه ،

---

(١) المجادلة : ٢٢ (٢) المجادلة : ١٩

مقتوراً عليه فى رزقه ،معزولة عنه البلايا ، مصروفة عنه الفتن فى عنفوان شبابه وظهور جَلَده ، وكمال شهوته ، فعنى بذلك دهره ، حتى إذا كبر سنه ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت شهوته ولذته ، فتحت عليه الدنيا شر فتوح ، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها ، وأعشت عينيه زهرتها ، وصنعت لغيره منفعتها ، فسبحان الله ما أبين هذا الغبن ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضتْ لك فتنتها ذكرتَ أمير المؤمنين عمر – رضى الله تعالى عنه – فى كتابه إلى سعد .. حين خاف عليه مثل الذى وقعتَ فيه عندما فتح الله على سعد :

* أما بعد ، فاعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا فى أسمالهم ، لاصقة بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا . فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا فى كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك ، فمن يلوم الحدث فى سنه ، والجاهل فى علمه ، والمأفون فى رأيه ، المدخول فى عقله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، على من المعول ، وعند من المستعتب .

نحتسب عند الله مصيبتنا . . وما نرى منك ؛ ونحمد الله الذى عافانا مما ابتلاك به . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

* * *

صفة الإمام العادل للحسن البصرى

كتب عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه – لما ولى الخلافة إلى الحسن ابن أبى الحسن البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ؛ أن الله جعل الإمام العادل قِوَام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد . وقوة كل ضعيف ، ونَصَفَةَ كل مظلوم ، ومفزع كلّ ملهوف .

* والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ؛ ويذودها عن مراتع الهَلَكة ، ويحميها من السِّباع ، ويكنُّهَا من أذى الحرِّ والقُرِّ .

* والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلِّمهم كباراً ، يكسب لهم فى حياته ، ويَدَّخِر لهم بعد مماته .

* والإمام العادل يا أمير المؤمنين ؛ كالأُم الشفيقة البرَّة الرَّفيقة بولدها ، حملته كرهاً . ووضعته كرهاً ، ورَبَّته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطِمُه أُخرى ، وتفرح بعافيته ، وتَغْتَمُّ بشكايته .

* والإمام العدل ياأمير المؤمنين وَصِىُّ اليَتَامَى . وخازن المساكين ، يُرَبِّى صَغِيرَهُم ، ويَمُون كبيرهم .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تَصْلُحُ الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

* والإمام العدل يا أمير المؤمنين ؛ هو القائم بين الله وبين عباده ، يَسْمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويَقُودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَّكَكَ الله عز وجل كعَبْد ائتمنه سيِّده ، واستحفظه ماله وعياله ، فَبَدَّد المال ،وشَرد العِيَال . فَأَفْقَر أهله ،وفرَّق ماله .

* واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزْجُر بها عن الخبائث والفواحش . فكيف إذا أتاها من يَلِيها ! وأَنَّ الله أنزل القِصاص حياةً

لعباده . فكيف إذا قَتَلَهُم مَنْ يَقْتَصُّ لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقِلَّة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتَزَوَّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

* واعلم ياأمير المؤمنين أن لك مَنْزِلا غير منزلك الذى أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يُسْلِمُونك فى قعره فريداً وحيداً ، فتزود له مايصحبك : (يَومَ يَفرُّ المَرْءُ من أخيه .وأُمه وأبيه .وصاحِبته وبَنِيه)(١).

* واذكر ياأمير المؤمنين : (إذا بُعثر ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور)(٢) فالأسرار ظاهرة ،والكِتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مَهَل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل .

* لاتحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ولاتَسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولاتُسلِّط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لايرقبون فى مؤمن إلاًّ ولاذمَّة ، فَتَبُوءَ بأوزارك ، وأوزار مع أوزارك . وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يَغُرَّنَّك الذين يتنعَّمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيِّبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك . ولاتنظر إلى قُدْرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله فى مَجْمَع من الملائكة والنَّبِيِّين والمرسلين . وقد عَنَتِ الوُجوه للحى القيُّوم .

* إنى يا أمير المؤمنين . وإن لم أَبْلُغ بِعِظَتِى ما بَلَغَهُ أُولو النُّهَىٰ من قَبْلِى ، فلم آلُكَ شفقة ونُصْحاً . فأنزل كتابى إليك كَمُدَاوى حَبِيبه ؛ يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة .

---

(١) عبس : ٣٤ – ٣٦ (٢) العاديات : ١٠

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

***

موعظة طاووس الى عمر بن عبد العزيز

عن أبي رياح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزده حرفاً ؛ قال : فما رأيت قط كتابا كان أعجب إليه منه ، كتب إليه .

« سلام عليك يا أمير المؤمنين . فإن الله عز وجل أنزل كتاباً . وأحل فيه حلالا . وحرم فيه حراماً . وضَرَب فيه أمثالا . وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً . فأحِلَّ حلال الله . وحرِّم حرام الله . وتفكَّر فى أمثال الله . واعمل بمحكمه . وآمن بمتشابهه . والسلام عليك » .

***

موعظة سالم الى عمـر بن عبد العزيز

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد . فإن الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه الأُمة من غير مشورة منى فيها ولا طلب منى لها إلا قَدَرٌ مِنَ الرحمن قَدَّره علىَّ . فأسأل الذى ابتلانى أن يعينني على ما ولاَّنى من عباده وبلاده . وأن يرزقنى فيهم العمل بطاعته . وأن يرزقهم منى الرأفة والرحمة . ويرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة . فإذا جاءك كتابى هذا فابعث إلىَّ بكتب عمر وسيرته وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة . فإنى سائر بسيرته . ومُتَّبع أثره إن الله أعانني على ذلك – إن شاء الله – والسلام » .

فكتب إليه سالم :

« من سالم بن عبد الله ، إلى عمر بن عبد العزيز .

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد .. فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء ، ثم إنك ياعمر قد وُلِّيت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لاتخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى وُلِدَ فى ذلك رجال ونساء ، وظنُّوا أنَّها السُّنَّة ، فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفينى عمله ، فإنك إن كنت تعمل لله أتاح الله لك أعواناً ، وإنَّمَا قُدِّر العَونُ بِقَدر النية ، وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعنَّك أحد بمظلمة ، ويجيء من قبلك وهم غابِطُون لك ؛ فافعل فإنهم قد عالجوا نزَع الموت ، وعاينوا أهوال المطَّلع ، وانفقأَت أعينهم التى كانت لاتنقضى لذتها ، وانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون فيها ، وانْدَقَّتْ رِقَابهم غير متوسِّدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُرُر والخدم ، وصاروا جِيَفاً فى بطون الأَرض تحت آكامها ، وقد كانوا إلى جنب مساكين تـأَذَّوا من ريحهم بعد إنفاق مالا يحصى من الطيب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم ما ابْتُلِيتَ به ياعمر . فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال ياعمر ... الدم الدم ياعمر .

كتبتَ إلى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل فى غير زمانك وبغير رجالك . وولیت فى زمن تعلم بعد ماعمل ، وأنا أرجو

إن عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد مابلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح :(وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب) . (١)

***

آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز

عن أبى سليم الهذلى قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :

« أمابعد ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدَع شيئاً من أمركم سدى ، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله – عز وجل – فيه فى الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج مِنْ رحمة الله ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك ، حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين .

فى كل يوم تودعون أيها الأحياء غادياً ورائحاً إلى الله – عز وجل – قد قضى نحبه ، وانقضى أجله حتى تُغَيِّبُوه فى صدع الأرض فى بطن صدع ثم تدعوه غير ممهَّد ولا موسَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرْتَهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدَّم ، غنياً عمَّا ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم .

وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى ، وما تبلغنى عن أحدمنكم حاجة إلا أحببت أن أسد

---

(١) هود : ٨٨ .

من حاجته ما قدرت عليه . وما يبلغنى أن أحداً منكم لايسعه ماعندى إلا وددت أنه يمكننى تغييره حتى يستوى عيشنا وعيشه .

وأيم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش . لكان اللسان منى به ذلولا عالماً بأسبابه . ولكن سبق من الله – عز وجل – كتاب ناطق ، وسُنَّة عادلة . دَلَّ فيها على طاعته . ونهى فيها عن معصيته » .

ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وبكى الناس ، وكانت آخر خطبة خطبها .

***

خطبة عمر بن عبد العزيز فى اختيار الصاحب

عن سلام بن سليم قال :

لما ولى عمر بن عبد العزيز صعد المنبر – وكان أول خطبة خطبها – حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« ياأيها الناس .. من صحبنا فليصحبنا بخمس . وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لايستطيع رفعها . ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على مالاتهتدى إليه . ولايغتابن عندنا الرعية . ولايعترض فيما لايعنيه »

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

***

عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين إلى عبدالله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرىء عليه ، وقال :

ما أبقى أبو الطيب شيئاً من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد حكمه وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحى الأعمال .

ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التى لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، آثرنا ذكره على ماغيه من طول ، رغبة منا فى ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر ، وهذا هو :

يابنى :

« عليك بتقوى الله وحده لاشريك له . وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيتك ، والزم ماألبسك الله فى العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه . وموقوف عليه . ومسؤول عنه . والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله . وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

« فإن الله قد أحسن إليك . وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم . والقيام بحقه وحدوده فيهم . والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم . والحقن لدمائهم . والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم فى معايشهم . ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه . ومسائلك عنه . ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت . ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك . ولايذهلك عنه ذهل . ولايشغلك عنه شغل .فإنه رأس أمرك .وملاك شأنك .وأول ما يوفقك الله به لرشدك .

« وليكن أول ما تلزم به نفسك . وتنسب إليه فعالك . المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس . والجماعة عليها بالناس قبلك فى مواقيتها على سننها فى إسباغ الوضوء لها . وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل فى قراءتك . وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك . ولتصدق فيها

لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله فى كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولاتَملْ عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد .

* وآثر الفِقْه وأهله ، والدين وحَمَلَته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ماتزين به المرءُ الفقه فى دين الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها ، وبه مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلى فى المعاد ، مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدلك .

* وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها . فليس شىءٌ أبين نفعاً ، ولا أحضر أمناً ، ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصدُ داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره فى دنياك كلها . ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومعالم الرشد ، فلا غاية للاستكبار من البر والسعى له ، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته .

* واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وأنك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولاتستصلح أمورك بأفضل منه ، فأنه واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه فى أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك . ولاتنهض أحداً من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تكشُّف أمره بالتهمة ، فإن إيقاع التهم بالبرءاء والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزاً . فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ماينغص عليك لذاذة عيشك .

* واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة . وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك . وتدعو به الناس إلى محبتك . والاستقامة فى الأمور كلها لك . ولايمنعك حسن الظن بأصحابك . والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك . والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية . والنظر فيما يقيمها ويصلحها . بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم . وحمل مؤوناتهم آثَر عندك مما سوى ذلك . فإنه أقوم للدين . وأحيا للسنة . وأخلص نيتك فى جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك . تَفَرُّد من يعلم أنه مسؤول عما صنع . ومَجزىٌّ بما أحسن . فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً . ورفع من اتبعه وعززه . فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين . وطريقة الهدى . وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولاتعطل ذلك ولاتهاون به ، ولا

تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن فى تفريطك فى ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة .

* وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك . وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهداً ففِ به ، وإذا وعدت الخير فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ، واقص أهل النميمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ، ولايستقيم لمطيعها أمر ، واحب أهل الصدق والصلاح ، واعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى .

* واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إنى مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له .

* واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، وينتزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النقمة ، إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ،

والمبسوط لهم فى الدولة . إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك . ولتكُ ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البرّ والتقوى ، والمعدلة واستصلاح الرعية . وعمارة بلادهم ، والتفقد لأُمورهم ، والحفظ لدمائهم . والإغاثة لملهوفهم .

* واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت فى الخزائن لاتثمر ، وإذا كانت فى إصلاح الرعية . وإعطاء حقوقهم . وكف المؤونة عنهم . نمت وربت . وصلحت به العامة وتزينت به الولاة . وطاب به الزمان . واعتقد فيه العز والمنفعة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله . ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم . وأوف رعيتك من ذلك حصصهم .

* وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم . فإنك إذا فعلت ذلك قفزت النعمة عليك . واستوجبت المزيد من الله . وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر . وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك . وأطيب نفساً بكل ما أردت . فاجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب . ولتعظم حسبتك فيه . فإنما يبقى من المال ما أُنفق فى سبيل حقه . واعرف للشاكرين شكرهم . وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة . فتتهاون بما يحق عليك . فإن التهاون يوجب التفريط . والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله . وفيه تبارك وتعالى .

* وارجُ الثواب فإن الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا . وأظهر لديك فضله . فاعتصم بالشكر . وعليه فاعتمد . يزدك الله خيراً وإحساناً فإن الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين . وقضاء الحق فيما

حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولاتحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ، ولا تداهنن عدواً ولاتصدقن نمَّاماً ، ولاتأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولاتتبعن غاوياً ولاتحمدن مرائياً ، ولاتحقرن إنساناً ، ولا تردَّن سائلا فقيراً ، ولاتجبين باطلا ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولاتخلفن وعداً ، ولا تذهبن فخراً ، ولاتظهرن غضباً ، ولاتأتين بذخاً ، ولاتمشين مرحاً ، ولا تركبن سفهاً ، ولاتفرطن فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً ، ولاتغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولاتدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولاتسمعن لهم قولا ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا ، فإن رعيتك إنما تنعقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصى بمنزلة خزى وهو قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(١) .

ء فَسَهِّل طَرِيق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعدده لنفسك خلقاً ، وارض به عملا ومذهباً ، وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ،

---

(١) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ .

ومكاتبهم ، وادرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم فى معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم فى طاعتك وأمرك ، خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وحيطته وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبرّه وتوسعته فزايل مكروه إحدى البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلق ـ إن شاء الله ـ نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

* واعلم أن القضاء من الله ؛ بالمكان الذى ليس مثله شىء من الأُمور لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأَحوال فى الأَرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

* واشتد فى أمر الله ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبّت وتأنّ ، وراقب وانظر وتدبر وتفكّر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولاتسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها .

* وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية ؛ وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأَهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ، ولأَهل

الكثير من معاملتهم ذلا وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية . والعموم فيه . ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه . ولا عن كاتب لك . ولا أحد من خاصتك . فلا تأخذن منه فوق الاحتمال له . ولا تكلفن أمراً فيه شطط . واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أجمع لألفتهم . وألزم لرضى العامة . واعلم أنك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً . وإنما سمى أهل عملك رعيتك . لأنك راعيهم وقيِّمهم . تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم . وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم . وتقويم أودهم . فاستعمل عليهم فى كور عملك . ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل . والعلم بالسياسة والعفاف . ووسع عليهم فى الرزق . فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلَّدت وأُسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل . ولا يصرفنك عنه صارف . فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك . وحسن الأحدوثة فى عملك . واستجررت به المحبة من رعيتك . وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك . وفشت العمارة بناحيتك . وظهر الخصب فى كورك ، وكثر خراجك . وتوفرت أموالك . وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك . وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل فى ذلك عند عدوك . وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدَّة .

• فنافس فى هذا . ولا تقدِّم عليه شيئاً . تحمد مغبة أمرك — إن شاء الله — واجعل فى كل كورة من عملك أميناً . يخبرك أخبار عمالك . ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم . حتى كأنك مع كل عامل فى عمله . معاين لأمره كله . وإن أردت أن تأمره بأمر . فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ، فإن

رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع . والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل فى أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره . فاستعمل الحزم فى كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك فى جميع أمورك .

* وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك فإن لِغَد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليه أمر يومين . فشغلك ذلك حتى تعرض عنه . فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح إليهم ، حتى لايجدوا لخلَّتهم مسًّا .

* وافرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لايقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكِّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين – أعزه الله – فى العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من بيت المال ، وقدِّم حَمَلَةَ القرآن منهم ،

والحافظين لأكثره فى الجارية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقوّاماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدِّ ذلك إلى سرف فى بيت المال .

* واعلم أن الناس إذا أُعطوا حقوقهم ، وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولاتهم ، طمعاً فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس ، لكثرة مايرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذى يستقبل ما يقرِّبه إلى الله ، ويلتمس رحمته به .

* وأكثر الإذن للناس عليك ، وابرز لهم فى المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولامنان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة — إن شاء الله — واعتبر بما ترى من أمور الدنيا وبمن مضى مِنْ قبلك ، من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائدة .

* ثم اعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله ، واعرف ماتجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولاتنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ، ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك مَنْ إذا رأىٰ عيباً فيك ؛

لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك فى سرّ ، وإعلامك ما فيك من النقص ، فإن أُولئك أنصح أَوليائك ومظاهريك .

• وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوَقِّت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتاً ، يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق ، فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة ، والعون فى أُمور أمير المؤمنين ، ولاتضعن المعروف إلا على ذلك .

• وتفَهَّم كتابى إليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أُمورك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأَهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله رضاً ، ولدينه نظاماً ، ولأَهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة والدولة عدلاً وصلاحاً .

• وأنا أسأَل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك ، وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك عدوك ، ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

***

نصيحة سفيان بن سعيد لهارون الرشيد

ذكر الامام ابن بليان والغزالى وغيرهما إن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا « سفيان بن سعيد » فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ؛ إلى أخيه فى الله سفيانَ بنِ سَعِيد :

* أما بعد يا أخى ؛ فَقد عَلِمْت أن الله آخَىٰ بَيْنَ ٱلمؤمنين ، وقد آخَيْتُكَ فى الله مُؤاخاة لم أصرم فيها حبْلكَ ، ولم أقطع منها وُدَّك ، وإنِّى مُنْطَوٍ لَكَ على أَفْضَل المَحَبَّة ، وأَتَم الإرادَة . ولَوْلا هٰذِه القلادَةُ الَّتِى قَلَّدْنيها الله تَعَالىٰ لأَتَيْتُكَ وَلَوْ حَبْواً ، لِمَا أَجِد لَكَ فى قَلْبِى مِنَ المَحَبَّة ، وإنَّه لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ إخْوَانِى إلا زَارَنِى وهَنَّأَنِى بِمَا صِرْتُ إليه ، وقَدْ فَتَحْتُ بُيُوتَ الأَمْوَالِ ، وأَعْطَيْتُهُم مِنَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّة ، ما فرِحَتْ بِهِ نَفْسى ، وقَرَّتْ بِهِ عَيْنِى . وقَدِ استَبْطَأْتُكَ ، وقَدْ كَتَبْتُ كِتَاباً منِّى إلَيْكَ أُعْلِمُكَ بِالشَّوقِ الشَّدِيدِ إليك ، وقَد عَلِمتَ يا أَبَا عَبْدِ الله مَا جَاءَ فى فَضْلِ زِيَارَةِ المؤمِنِ ومُوَاصَلَتِه ، فإذَا وَرَدَ عليك كتابى هذا فالْعَجَلُ العجل .

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بإيصاله اليه ، وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به . قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده ، فلما رآنى على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال : فنزلت عن فرسى بباب المسجد ، فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلى ، قال : فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض على الجلوس ، وقد علتنى من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب

اليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه ، فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده ، ورماه إلى من كان خلفه ، وقال : ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله ان أمس شيئاً مسه ظالم بيده ، قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته ، قال اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له : يا أبا عبدالله إنه خليفة فلو كتبت اليه فى بياض نقى لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه ، فإن كان اكتسبه من حلال ، فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا ، فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له :

بسم الله الرحمن الرحيم

« مِنَ العَبْدِ المَيِّتِ سُفْيَانَ إلى العَبْدِ المَغْرُورِ بالآمالِ هارون الَّذى سُلِبَ حَلاَوَةَ الإيْمَان ، وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ القُرْآن .

« أما بعد .. فإنِّى كَتَبْتُ إليكَ أُعْلِمُكَ أنِّى قَدْ صَرَمْتُ حَبْلَكَ ، وقَطَعْتُ وُدَّكَ ، وأنَّكَ قَدْ جَعَلْتَنِى شَاهِداً بإقْرَارِكَ على نَفْسِكَ فى كِتَابِكَ ، بِمَا هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ ، فَأَنْفَقْتَهُ فى غَيْرِ حَقِّه ، وأَنْفَذْتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِه ، ولَمْ تَرْضَ بِمَا فَعَلْتَ وأَنْتَ نَاءٍ عَنِّى ، حَتَّى كَتَبْتَ إلَىَّ تُشْهِدُنِى على نَفْسِكَ .

« فأَمَا أنا فَإنِّى قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أنَا وإخْوَانِى الَّذِينَ حَضَرُوا قِرَاءَةَ كِتَابِكَ .. وسَنُؤَدِّى الشَّهَادَةَ غَداً بَيْنَ يَدَى اللهِ الحَكَمِ العَدْلِ . يا هارون ؛ هَجَمْتَ على بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ بِغَيرِ رِضَاهُمْ . هَلْ رَضِىَ بِفِعْلِكَ المُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ . والعَامِلُونَ عليها فى أَرْضِ اللهِ . والمُجَاهِدُونَ فى سَبِيلِ اللهِ وابنُ السَّبِيلِ . أَمْ رَضِىَ بِذَلِكَ حَمَلَةُ القُرْآنِ وأَهْلُ العِلْمِ يَعْنِى العَامِلِينَ . أَمْ

رضىَ بِفِعْلِكَ الأَيتَام والأَرَامِل ، أَم رَضِىَ بِذٰلِكَ خَلْقُ منْ رعيتك ، فَشُدّ ياهارون مِئْزَرَك ، وأعدّ للمَسْأَلة جَوَاباً ، وللبَلاَءِ جلباباً ، واعلم أَنك سَتقِفُ بين يدى الحَكَم العَدْل فاتَّقِ الله فى نفسك إِذْ سُلِبْت حَلاَوَةَ العِلْم والزُّهْدِ ولَذَّةَ قِرَاءَة القُرْآن ، ومُجَالَسَة الأَخْيَارِ ، ورَضيت لِنَفْسِكَ أَن تكون ظالِماً ولِلظَّالِمينَ إِماما (١) .

* ياهارون .. قَعَدْتَ على السَّرِير ، ولَبِسْتَ الحرير ، وأَسبَلْتَ سُتُوراً دُونَ بابك ، وتَشَبَّهْتَ بالحُجْبَة بِرَبِّ العَالمين ، ثمَّ أَقْعَدْتَ أَجْنَادَكَ الظَّلَمَة دُونَ بَابِكَ ، وَسُتُرِكَ يَظْلِمونَ النَّاسَ وَلا يُنْصِفُون ، ويَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَحَدُّونَ الشَّارِب ، ويَزْنُونَ ويَحُدُّونَ الزَّانى ، ويَسْرِقُونَ ويَقْطَعُونَ السَّارِق ، ويَقْتُلُونَ ويَقْتُلُونَ القَاتل ، أَفلا كانت هذه الأَحكام عليك وعَلَيْهِم قَبْلَ أَنْ يَحكمُوا بِهَا على النَّاس .

* فكَيْفَ بِكَ ياهارُونُ غَداً إِذا نادَىٰ المُنَادِى مِنْ قِبَل الله احْشُرُوا الظَّلَمَة وأَعْوَانَهُم ، فَتَقَدَّمْت بَيْنَ يَدَى الله ويَدَاكَ مَغْلُولَتَانِ إِلى عُنُقِكَ ، لايَفُكُّهُمَا إِلا عَدْلُكَ وإِنْصَافُكَ ، والظَّالِمُونَ حوْلَكَ وأَنْتَ لَهُم إِمَامٌ أَوْ سَائِقٌ إِلى النَّار .

* وكأَنِّى بِكَ ياهَارُونُ وَقَدْ أُخِذْت بِضِيقِ الخِنَاقِ ، وَوَرَدْتَ المساقَ ، وأَنْتَ تَرَىٰ حَسَنَاتِكَ فى ميزَان غَيرِكَ ،وسَيِّئات غَيْرِكَ فى ميزانِكَ على سَيِّئاتِكَ ، بَلاءٌ على بَلاءٍ ، وظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةٍ ، فاتَّقِ الله ياهارونَ فى رَعِيَّتِكَ ، واحفظ

---

(١) اضطربت الأخبار فى أمر هارون الرشيد ؛ فمنهم من قبل مثل هذه الرواية — ومنهم من قال إن هارون كان ملكاً مسلما شجاعاً يحج عاماً ويغزو عاماً، ومعلوم أن مثل هارون الحاكم الفاتح القوى يكثر خصومه من الداخل ومن الخارج .

محمَّداً ـ صلى الله عليه وسلَّم ـ فى أُمَّته ، واعْلَم أَنَّ هذا الأَمْر لَم يَصِرْ إليكَ إلا وهو صائرٌ إلى غَيرِكَ ، وكذلكَ الدُّنْيَا تَفْعَلُ بأَهلِهَا واحداً بَعْدَ وَاحد ؛ فَمِنْهُم مَنْ تَزَوَّد زاداً نَفعَهُ ، وَمِنهُم مَنْ خَسِرَ دُنْيَاه وآخِرَتَهُ ، وإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَىَّ بَعْدَ هٰذَا ، فَإِنِّى لا أُجِيبُكَ والسَّلام .

وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم فأخذته ، وأقبلت به إلى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعظة بقلبى ، فناديت : يا أهل الكوفة من يشترى رجلا هرب إلى الله ، فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير ، فقلت : لا حاجة لى بالمال ، ولكن جبة صوف ، وعباءة قطوانية فأتيت بذلك ، فنزعت ما كان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلا فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى ، فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ، ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، مالى وللدنيا ، والملك يزول عنى سريعاً ، فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلى ، فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد ، وضيقت عليه السجن ، فجعلته عبرة لغيره ، فقال هارون :

« اتْرُكُوا سُفْيَانَ وشَأْنَهُ ياعَبِيدَ الدُّنْيَا ؛ المَغْرُورُ مَن غَرَرْتُمُوهُ ، والشَّقِىُّ ـ واللهِ ـ حَقًّا مَنْ جَالَسْتُمُوه ، إِنَّ سُفْيَان أُمَّةٌ وَحْدَهُ » .

ولم يزل كتاب سفيان (١) عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكى ، حتى توفى رحمه الله تعالى .

***

(١) وهو غير سفيان الثورى الزاهد المعروف والذى لم يدرك هرون الرشيد .

رسالة الامام مالك لهارون الرشيد

كتب الامام مالك بن أنس – رضى الله عنه – بهذه الرسالة الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإنى كتبتُ إلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيهِ رشداً ، ولَمْ أَدَّخرك فيه نُصْحاً . تحميداً لله . وأدباً عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتدبَّره بعقلك . وردِّد فيه بصرك ، وارعه سمعَك . ثم اعقله بقلبك ، واحضِرْه فهمك . ولاتُغيبَنَّ عنه ذهنَك ، فإن فيه الفضل فى الدنيا . وحسن ثواب الله تعالى فى الآخرة ، اذكر نفسك فى غمرات الموت وكربه . وما هو نازل بك منه . وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب . ثم الخلود بعد الحساب ، وأعِدَّ لله عز وجل مايُسَهِّلُ به عليك أهوال تلك المشاهد وكُرَبها . فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم . وسمعت زفيرهم فى النار وشهيقهم . مع كلوح وجوههم ، وطول غمهم . وتقلبهم فى دركاتها على وجوههم ، لايسمعون ولايبصرون . ويدعون بالويل والثبور . وأعظم من ذلك حسرةً إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم . وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : (اخْسَئُوا فِيها ولا تُكَلِّمُونِ) (١) .

لم يتعاظمك شيءٌ من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك . ولا أَمَّنك من هوله ، ولو قدمت فى طلب النجاة منه جميع ما ملك أهل الدنيا – كان فى

(١) المؤمنون : ١٠٨

معاينتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه ـ لتقلَّلَ فى عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر فى عينك جسيم ماطلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لاتقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار ، وصَلِّ من النهار اثنتى عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت صلَّهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « مَنْ صَلى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَى عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الجَنَّةِ » .

وصَلِّ مِنَ الليل ثمان ركعات بجزءٍ من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذى ينبغى فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلِّهن مثنى مثنى ، فإنه بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يصلى من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يُسلم من كل اثنتين ، وَصُم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، فإنه بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ذٰلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

من يستحق الصدقة وأقسامهم :

واعْط زَكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا فى أهل ملتك من

المسلمين ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : إنَّ الله تَعَالىٰ لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ ولاغَيْرِهِ حَتَّىٰ حَدَّها هُوَ على ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قال عز وجلَّ : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيهَا وَالمؤلَّفَةِ قُلُوبُهُم وَفِي الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَبِيلِ)(١).

واحْتُجَّ حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لايقبل إلا طيباً ، وبلغنى أن قوله تعالى : (فَمَنْ تعجَّل فى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيهِ ومَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيه) (٢) غُفْرٌ لَهُ .

مُرْ بِطَاعة الله وأَحْبِب عليها ، وانْهَ عَنْ معاصى الله تعالى ، وابغض عليها ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم أنه قال :« مُرُوا بالمَعْرُوفِ ، وانهُوا عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّمَا هَلك مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِتَرْكِهِم نَهْيَهُم عَن المَعَاصى ، ولَم يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ » . فَمُرُوا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم ، فإن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر لايُقَدِّمُ أجلا ، ولايقطع رزقاً .

رحمة الخدم والنهى عن الكبر :

أَحْسِن إلى مَنْ خَوَّلك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يُصَلِّى فانصرف ، وقال : « أَطَّتِ السَّمَاءُ . وحقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مافِيْهَا مَوْضِعُ أَرْبَع أَصَابعَ إلا عَلَيهِ جَبْهَةُ مَلَك سَاجِد ، فَمَنْ كانَ لَهُ خَوَلٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، ومَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، ولاتُعَذِّبُوا خَلْقَ الله » .

الْزِم الأَدب من وَلِيت أمره وأدبه ، ومنيجب عليك النظر فى أمره ،

---

(١) التوبة : ٦٠ (٢) البقرة : ٢٠٣

فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال للفضل بن العباس : « لاترْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ . وأَخِفْهُم فى الله » .

لاتستسلم إلى الناس واسْتَجْرِهم (١) فى طاعة الله . لاتَغْمَص النَّاس ، واخْفِضْ لهم جناحك . فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « أَلا أُحَدِّثُكُم بِوَصِيَّةِ نُوح ابنَهُ . قال : آمُرُكَ باثْنين ، وأَنْهَاكَ عَنْ اثْنَين . آمُرُكَ بِقَول لا إلهَ إلا الله ، فإنَّهَا لَوْ كانَتْ فى كِفَّةٍ ، والسَّمٰواتُ والأَرْضُ فى كِفَّةٍ وَزَنَتْهَا ، ولَو وَضَعتهَا على حَلَقة قَصَمَتها ، وَقُلْ : سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ فإنَّهَا عِبَادَةُ الخَلق . وبِهَا تُقْطَعُ أَرْزَاقهم ، فَإِنَّهُمَا يُكْثِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الوُلُوج على الله عَزَّ وجَلَّ ، وأَنْهَاكَ عَن الشِّرْك والكِبْر ، فإنَّ الله مُحْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فقال له بعض أصحابه : أَمِن الكِبر أَن يكون لى الدَّابَّةُ النَّجِيبة ؟ قال : لا . قال : أَمِنَ الكِبْرِ أَن يكون لى الثَّوب الحسن . قال : لا ، قال : أفمن الكبر أن يكون لى الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : لا . إنما الكبر أن تسفه الحق . وتغمص الخلق ، وإياك والكبرَ والزهوَ . فإن الله – عز وجل – لايحبهما . وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : « يُحْشَرُ المتكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صِوَرِ الذَّرِّ تَطَؤُهُمْ النَّاسُ بتَكَبُّرِهِمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

خوف الله :

لا تـأمن على شئ من أمرك مَن لايخاف الله ، فإنه بلغنى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنه قال : شَاوِرْ فى أمْرِك الذين يخافون الله ، احذر بطانة السوء . وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغنى عن النبى –

---

(١) استجرهم : أى استخدمهم واستعملهم .

صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ ولاخَلِيفَةٍ إلا ولَهُ بِطَانَتَان : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ ، وبِطَانَةٌ لاتَأْلُوهُ خَبَالا ، وهُوَ مَعَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيهِ ، ومَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ » .

واستَبْطِن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وارْعَ حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيُمْسِكْ » .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : أُنذركم فضول المنطق . وأكرم من وَادَّك ، وكافئه بمودَّته ، وإياك والغَضَب فى غير الله ، لاتأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولاتنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر مالا يعنيك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مالايَعْنِيه » .

صِلْ مَنْ قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلاقِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ » .

اتَّقِ كثرة الضَّحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أن ضحكه كان تبسُّماً .

المزاج والكبر ومجالسة المتقين :

لاتمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنِّى لَأَمْزَحُ ولا أَقُولُ إلا حَقًّا » .

لاتخالف إلى مانهيتَ عنه ، وإذا نَطَقتَ فأوجز ، فإنه بلغنى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فى نَارِ جَهَنَّمَ إلاَّ هٰذَا » . يعنى لسانه .

لاتصعِّر خَدَّك للناس ، فإنه بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إنَّ أهلَ الجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ طَلْق » .

اترك من أعمال السِّرِّ مالا يحسن بك أن تعمله فى العلانية . اتق كل شيء تخاف فيه تهمة فى دينك ودنياك ، بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَمِ » .

أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن فى ذلك غضاضة ، وبلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لرجل : « لاتَسْأَلِ النَّاس ، ولْيَكُنْ مَجْلِسكَ بَيتكَ أَوْ مَسْجدك » وبلغنى عن ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « المَسَاجِدُ بُيُوتُ المُتَّقِينَ » .

لاتكثر الشخوص من بيتك إلا فى أمر لابد منه ، فإنه بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ستَّةُ مَجَالِس المُسْلِم ضَامِنٌ على على الله ما كانَ فى شَيءٍ مِنْهُنَّ : فى سبيلِ الله ، أو فى بَيْتِ الله ، أو فى عِيَادَةِ مَرِيض ، أو شُهُودِ جَنَازَة أو جُمُعَةٍ ، أوْ عِنْدَ إمَامٍ مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ ويُوَقِّرُه » .

أحسن خُلقك مع أهلك ، ومَن اعتز بك ، فان ذلك رضا لربك ، ومحبة فى أهلك ، ومَثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك .

فإنه بلغنى عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك .

أحسن البشْر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ) (١) .وبلغنى عن النبى- صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لاتَشْتُمِ النَّاسَ » .

اتَّقِ أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردىٰ ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال : اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجلُ الرجلَ مثله .

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كفل يَتِيماً لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فى الجَنَّةِ كَهَاتَينِ » . وأشار بأُصبعيهِ فضمهما .

اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغنى أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعِن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُثْبِتَ لَهُ حَقَّه ،ثَبَّتَ الله قَدَمَهُ يَومَ تَزُولُ الأَقْدَامُ ».

اتق اتباع الهوى فى ترك الحق ، فإنه بلغنى عن النَّبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنِّى أَخَافُ عَلَيكُم اثْنَتَين : اتِّبَاع الهَوَىٰ ، وطُول الأَمَلِ» ،فإن اتباع الهوى يَصُدُّ عن الحق ،وطول الأَمل ينسى الآخرة.

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أَشْرَفُ الأَعمال ثَلاثَةٌ : ذِكْرُ اللهِ على كُلِّ حَال ، وَمُوَاسَاةُ الأَخ مِنَ المَال ، وإِنْصَافُ النَّاس مِنْ نَفْسِك » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغنى عن علىٍّ - كرَّم الله

---

(١) الحجرات : ١٢

وجهه – أنه قال : لاتتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأُولى ، وليست لك الأُخرى .

اتَّقِ المطعم الوَبِيَّ ، والمشرب الوبِيَّ ، والملبس الوبِيَّ ، فإن ذلك تذهب أُنفته (١) ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صالِحاً)(٢).وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ المُسْلِم أَكلَة ، أَطْعَمَهُ الله مَكَانَهَا أَكلَة مِنْ نَارٍ ، ومَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ المُسْلِم ، سَمَّعَ الله بِهِ يَومَ ٱلْقِيَامَةِ ، ومَنْ لَبِسَ بِأَخيه المُسْلِم ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ الله مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :« مَنِ اعْتَذَرَ إلى أَخِيهِ المُسْلِم فَلَم يَعْذِرْهُ كانَ عَلَيهِ مِثلُ وِزْرِ صاحِب مَكْس » .

لِتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « اليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَد السُّفْلى » .

اصحب الأَخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغنى

اصحب الأَخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغنى
عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ما تَحَابَّ رَجُلانِ فى الله إلا كانَ أَفضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِه » .

صِل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أَتى إليك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أن رجلا قال له : « إنَّ لى أَقرباءَ ، أَعْفُو ويَظْلِمُونى ، وأَصِلُ ويَقْطَعُونى ، وأُحْسِنُ ويُسِيئُون ، أَفَاكافِئُهُم ؟ »

---

(١) أنف الشيء وأنفته : ابتداؤه وأوله . (٢) المؤمنون : ٥١

فقال صلى الله عليه وسلم : « إذن تُتركُوا جَمِيعاً ، ولٰكِنْ إذا أَسَاءوا فأَحْسِنْ . فإنَّهُ لَنْ يَزَالَ لكَ عَلَيهم مِنَ الله ظَهِيرٌ » .

ارحم المسكين المضطر . والغريب المحتاج . وأَعِنْهُ على ما استطعت من أمره . فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال :« كل معروف صدقة » .

ارحم السائل . وارددە من بابك بفضل معروفك . بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له . فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذَمَّةَ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَام » .

فعل المعروف :

لا تزهد فى المعروف عند من تعرفه . وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لا تَزْهَدْ فى المعْرُوف ولَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فى إِنَاءِ المُسْتَقِى » .

أَرِدْ بِكُلِّ ما يكون منك من خير إلى أحد الله . فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قوله عزَّ وجلَّ : (فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ)(١)... الآية . قال : المُنافق الَّذِى إنْ صَلى رَاءى . وإنْ فَاتَتْهُ لم يَبْلُغ إلَيهَا (ويمْنَعُونَ المَاعُونَ)(٢) قال : المَاعُونُ :الزَّكاةُ الَّتِى فَرَضَهَا اللهُ عزَّ وجَلَّ .

إياك والرِّياء . فإنه بلغنى أنهُ لا يصعد عمل المرائى إلى الله عزَّ وجل . ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل . فإنه بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥ (٢) الماعون : ٧

أنه قال : « نَضَّرَ الله امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعاهَا حتَّى يُبَلِّغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظ مِنْ شَاهِدٍ ، ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيه » .

لا يغفل قلب امرىء مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوءَ الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصى الله تعالى ، وقد بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « خِيَارُكُم أَحْسَنُكم أَخْلاقاً».

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم : « أَنَّ مَلَكاً أَتاهُ فَقَالَ : إنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلام ويَقُولُ : إنْ شِئْتَ أَجْعَلكَ مَلكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْداً نَبِيًّا . فأَشارَ إليهِ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السلام أَنْ تَوَاضَعْ ، فَمَا أَكَلَ مُتَّكِئاً حَتَّى ماتَ » .

الظلم :

لا تظلم الناس فيديلهم الله عليك . فإنه بلغنى عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحداً أشد علىَّ ظلماً من أحد لايستعين علىَّ إلا بالله تعالى .

احذر البغى فإنه عاجل العقوبة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ أَعْجَلَ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلَةُ الرَّحمِ ، وإنَّ أَعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوبَةً اليَمِينُ الغَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيارَ بَلاقِعَ » .

الحلف بغير الله :

لا تحلف بغير الله فى شىء ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لا تَحْلِفُوا بِآبائِكُم . لِيَحْلِف حَالِفٌ باللهِ أَوْ

لِيَسْكُتْ » . ولا تحلف بالله فى كل شيء فإنه بلغنى أن ذلك قوله تعالى: (ولا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُم) (١) .

ارحم الناس يرحمك الله . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ لا يَرْحَم النَّاسَ لا يَرْحَمُهُ الله » .

أحبب طاعة الله يُحبك الله ، ويُحَبِّبْكَ إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيِّه :(قُلْ إنْ كُنْتُم تُحبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُم اللهُ) (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ اللهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِى فى السُّجُودِ » . وقال بعض العلماء : ما أَسرَّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها . ولا أسرَّ سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها .

وليكن عليك السكينة والوقار فى منطقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال – والناس يزحفون حوله – : « عَلَيكُم بِالسَّكِينَةِ » .

أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض . وحظها من المقصد عليها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إذا رَكِبْتُم هٰذِهِ الدَّوابَّ العُجمَ فاعْطُوها حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ، ولا تكافئه فإن فى ذلك الفضل فى الدنيا والآخرة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :« إنَّ اللهَ يُحِبُّ الحَلِيمَ – الحَيَّ العَفِيفَ المُتَعَفِّفَ » .

---

(١) البقرة : ٢٢٤ (٢) آل عمران : ٣١

ادفع السَّيئَة بالتى هى أحسن ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « أَيُّهَا السُّلَمِىُّ اتَّقِ العُقوق وقطيعةَ الرَّحم . فإن فى ذلك شيناً فى الدُّنيا وتَبَاعُداً فى الآخِرَة » .

وبلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « اشْتَكَتِ الرَّحم إلى الله عَزَّ وجَلَّ مِمَّن يَقْطَعهَا ، فرَدَّ اللهُ عليها : أَمَا تَرْضَيْن أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ » .

كظم الغيظ :

إذا غضبت من شىء من أمر الله فاذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : (والكَاظِمِينَ الغَيظَ والعَافِين عَنِ النَّاس) (١) الآية .

وبلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ما امْتَلأَ رَجُلٌ غَيظاً فَكَظَمَهُ لله إلا مَلأَهُ اللهُ رِضْوَاناً يَومَ ٱلْقِيَامَةِ » .

إذا وعدت موعداً فى طاعة الله فلا تُخلفه ، وإذا قلت قولا فيه رضا الله فأَوف به ودم عليه . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِستٍّ أَتَكَفَّلْ لَهُ بالجَنَّة : إذا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وإذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وإذَا ائْتُمِنَ لَمْ يَخُنْ ، وغَضَّ بَصَرَهُ ، وحَفِظَ فَرْجَهُ ، وكَفَّ يَدَهُ » .

نذر المعصية :

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمنَّ بها وكفِّرها ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لانَذرَ فى مَعْصيةِ

---

(١) آل عمران : ١٣٤ .

الله وكفَّارتُهَا كَفَّارَةُ يَمِينٍ والنَّذْرُ يَمِينٌ . وإذَا حَلفْتَ على يَمِينٍ ثمَّ رَأَيْتَ غَيْرَها خَيراً مِنْهَا فأْتِ الَّذِى هُوَ خَيرٌ وكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ » . فإنه بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك .

إياك والتزّيد فى القول ، وأن تقول قولا وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « ثَلاَثَة لايَنْظُرُ اللهُ إلَيهِم يَوْمَ القِيَامَةِ ، الإمَامُ الكَذَّابُ ، والعَائِلُ المَزْهُوُّ ، والشَّيخُ الزَّانى » .

بر الوالدين :

برّ والديك وخُصَّهما منك بالدعاء فى كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم – عليه السلام – قال (رَبِّ اغْفِرْ لِى ولِوَالِدَىَّ) (١).فبدأ بنفسه قبل والديه .وبلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فى عُمرِهِ ، ويُزَادَ فى رزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ ، ولْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قدرت عليه ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكرِ الله » .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك فى الركاب ،فقل : بسم الله ، وإذا استَوَيت راكباً فقل : (سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا ومَا كُنَّا لَهُ

---

(١) نوح : ٢٨

مُقْرِنِينَ »(١)الآية . فإنه بلغنى عن النبى-صلى الله عليه وسلم - أَنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .

آداب الأكل :

إذا أكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت فى أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغنى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخَبِيث ، وبَينَ أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الَّذِى أَطْعَمَنَا وسَقَانَا وجَعَلَنَا مُسْلِمين ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فَكُلْ مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدى أحد ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم -أنه قال لرجل يفعله : « اذْكُر اسْم الله ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ » وكُلْ بِيَمِينِكَ ولا تأْكُلْ بِشِمَالِكَ ، ولا تَشْرَبْ بِشِمَالكَ . وبلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إنَّهَا إكْلَةُ الشَّيطَان »

لاتسافر ما استطعت إلا فى يوم الخميس ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لايسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : ياحىُّ ياقيوم برحمتك أستَغيث ، فإنه بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم -أنه كان يقول ذلك عند الكرب.

الحذر من النميمة :

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس . بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أَبَاهُ .

مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وهو النمام .

لاتجرّ ثيابك فإن الله لايحب ذلك ، وبلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليه يومَ القِيَامَة » .

أطع الله فى معصية النَّاس ، ولاتطع النَّاس فى معصية الله ، بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لاطَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فى مَعْصِيَةِ الخالِق » .

إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء ـ يعنى الجوع ـ فقل : الله ربى لا أُشرك به شيئاً : ثلاث مرات ، بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيءٌ من ذلك .

الصبر على المصائب :

اصبر على ما أصابك من فجائع الدنيا وأحزانها لقول الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ)(١) .والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لاتُمَارِينَّ أحداً وإنْ كُنتَ مُحقًّا ، بلغنى أن قول الله عز وجل : (فَلاَ رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ فى الحَجِّ) (٢) أنَّه المِرَاءَ .

إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر فى عاقبته ، بلغنى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فى عَاقِبَتِهِ ، فإن كَانَ رُشْداً فَامْضِهِ ، وإنْ كانَ غَيًّا فانْتَهِ عنْهُ »

---

(١) الزمر : ١٠ (٢) البقرة :١٩٧

الحياء :

إيَّاك والتجريد خالياً،فإنه ينبغى لك أن تستحيي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لاأُحِبُّ أن يَلِيَ لى شَيئاً مَنْ لايستَحِي مِنَ اللهِ فى الخَلاء » . وإياك أن تدخل الحمام والماءَ إلا بإزار ، ولايدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر ، فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لايَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوم الآخرِ أن يَدْخُلَ الحَمَّام إلا بِإزَار » .

أفشِ السلام ، وإن استطعت أن لايسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغنى عن ابن مسعود أنه قال : السلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلَّم كتب له عشر حسنات .

تأديب الأولاد :

أدِّب ولدك ، ومن وليت أمره على خُلُقك وأدبك ، حتى يتأدَّبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغنى عن ابن مسعود –رضى الله عنه–أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن .

وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكَتَّ ، واجتهد رأيك فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : «المُسْتَشَارُ بالخِيَارِ إنْ شَاءَ تَكَلَّم وإنْ شاءَ سَكَتَ » .

لاتفش على أحد سرًّا أفشاه إليك ، فإنما هى أمانة اسْتَودَعْكَهَا ، وائتَمَنك عليها إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له فى دنياه وآخرته ، فافشها عليه وانصحه فيها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مِنْ حَقِّ المُسْلِم على المُسْلِم إذا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحهُ » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فَلْيُرَ عليك أثره ، ولْيُرَ فِيكَ سِمته ، وتعلَّم للذى تعمله ، وتعلَّم له السكينة والحلم والوقار ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ » .

ردَّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام قال عز وجل : (وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) (١) . وقال ابن عباس – رضى الله عنه – :

أَرىٰ رَجْعَ الكِتَاب عَلَىَّ حَقًّا كما أَنى أَرَىٰ رجْع السَّلام

الْزم الحياء فإنه خُلُقُ الإسلام ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ شَىءٍ خُلُقٌ ، وخُلُقُ الإسْلام الحَيَاءُ » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُم إنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاء السَّفَرِ ، وكآبة المُنْقَلَبِ ، ودَعْوَةِ المَظْلُوم .وسُوءِ المَنْظَرِ فى الأَهْلِ والمالِ ،والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ » . بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول ذلك إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لايستعين عليك إلا بالله ، لقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « ثلاثَةٌ لاتُرَدُّ دَعْوَتهُمْ : الإمَامُ العَادِلُ ، والصَّائِمُ

---

(١) النساء : ٨٦

حَتَّىٰ يُفْطِرَ ، ودَعْوَةُ المَظْلُوم فإنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الغَمَام ، فَيَقُولُ اللهُ لَهَا : وَعِزَّتِي وجَلالِي لأَنْصُرَنَّكِ ولَو بَعْدَ حِينٍ » .

دعاء السفر :

إذا ودَّعْتَ مُسَافِراً فَقل : « زَوَّدَكَ الله التَّقْوَىٰ ، وغَفَرَ لَكَ ذَنبكَ ، ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَودِعُ الله دِينَكَ وأَمَانَتكَ وخَوَاتِيم عَمَلكَ » . لأن صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه بها .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أن تدفعه ، فقم عنه ولاتقعد . لقول النبي – عليه الصلاة والسلام – « لايَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ » .

آداب عامة :

الزم السواك فإنه سنة ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « السِّوَاكُ مِنْ سُنَنِ المُرْسَلِينَ » .

افش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء ، وليكن ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لايقبل إلا الطيب ، بلغني عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ فَيَجْعَلُهَا فى كَفَّةٍ ، فَيُرَبِّيهَا لَهُ كما يُرَبِّى أَحَدُكُم فُلُوَّهُ أو فَصِيلَهُ ، حَتَّىٰ تَكُونَ فى يَدِهِ مِثْلَ الجَبَل » .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفزعك فيها إلى الله – عز وجل – حين تنزل بك ، بلغني عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه

قال : « لَنْ يَنْزِلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ كانَ مَفْزَعُهُ فِيهِ إلى اللهِ إلا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ » .

لاتضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا فى غير نومك ، لما بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّهَا لَضِجْعَةٌ يُبْغِضهَا اللهُ » .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبى–صلى الله عليه وسلم – : « أَحَقُّ مَا وُفِّىَ بِهِ عَهْدُ الله » .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرضى الله ، لقول النبى – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ من سخَطِ الله ، ما يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَابَلَغَتْ يُكْتَبُ لَهُ بِهَا سُخْطُهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله ، مَايَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مابَلَغَتْ ، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » .

أَرِدْ ما أَردت به الله ما استطعت ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الربِّ » .

اتَّقِ كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك فى وجهك ، بلغنى أن رجلا امتدح رجلا عند النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ ، ولَوْ سَمِعَهَا ما أَفْلَحَ أَبَداً » .

إياك ومدح الناس والثناء عليهم فى وجوههم ، لقول النبى – عليه الصلاة والسلام – : « احْثُوا التُّرَابَ فى وُجُوهِ ٱلمَدَّاحِينَ » .

طهِّر ثيابك ونقِّها من معاصى الله تعالى ، فإنه بلغنى أن قوله تعالى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (١) ؛ يأمره أن لا يلبسها على عذرة .

واكره لكل أحد ما تكرهه لنفسك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ بايع جريراً البَجَلى على الإسلام ، والنصيحة لكل مسلم .

إياك والحسد والشَّرَه فهما خُلُقان مُرديان لصاحبهما فى الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهما :« لاحَسَدَ إلا فى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مالاً وسَلَّطَهُ على إنْفَاقِهِ فى الحَقِّ ، ورَجُل آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِى بِهَا ويُعَلِّمُهَا » .

اقتد فى أُمورك برأى ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « خِيَارُكُمْ شُبَّانُكُم ٱلمتَشَبِّهُونَ بشُيُوخِكُم ، وشِرَارُكُم شُيُوخُكُم المتَشَبِّهُون بِشُبَّانِكُم » .

لا تحتكر أحداً ، ولا تجالس مأفُوناً ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .

عليك بمعالى الأخلاق وكريمها ، واتق رذائلها وما سَفْسَف منها ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إنَّ الله يُحِبُّ مَعَالِىَ الأَخْلاق ويَكْرَهُ سَفْسَافَها » .

إذا رأيت من فُضِّلت عليه فى دينك ودنياك ، فأكثر حمدا لله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : « ما

---

(١) المدثر : ٤

أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الحَمْدُ لله إلا كَانَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وإِنْ عَظُمَتْ » .

لاتركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المُعَصْفَر ، فقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لاتَتَطَيَّرَنَّ من شَيءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ ، وإِذَا كَانَ مِنْ ذٰلِكَ شَيءٌ فَقُل : اللَّهُمَّ لايأْتِي بالخَيرِ إلا أَنْتَ ، ولايَدْفَعُ السُّوءَ إلا أَنْتَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله » . فقد علمت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لاتتوضأ بشيءٍ مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء .

لاتتخلقن بالخلوق إلا أن يكون في أثر النَوْرَةِ ليذهب ريحها ، فقد بلغني عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « « بَيْنَمَا رَجلٌ في بُرْدَتَينِ لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخْتَرُ فِيهِمَا ، إِذْ سَاخَتْ بِهِ الأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » .

لاتغيرن أظفارك بالحناء ولايديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سماء أهل الفضل .

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعَتَاق ، فإنها من أَيْمَانِ الفُسَّاق . بلغني عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : أَرْبَعٌ جائِزَة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمْسُون والله عليهم ساخط ، ويصبحون

والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتىٰ بهيمة ، أو عَمِلَ عمل قوم لوط .

لاتتطيبن بشيء من الطيب يظهر اونُه ، فإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « طِيبُ الرِّجالِ مَابَطَنَ لَونُهُ وظَهَرَ رِيحُهُ ، وطِيبُ النِّسَاءِ ما ظَهَرَ لَونُهُ وبَطَنَ رِيحُهُ » .

الزم الرأى الحسن ، والهَدْى الحسن ، والاقتصاد ، بلغنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : الرأىُ الحسن جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لاتدع العمامة والبرد فى العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه كان يلبس العمامة والبرد فى العيدين والجمعة ، وقال : « إنَّ الله تَعَالىٰ أَعَزَّ الإِسْلَام بِالعَمَائِمِ والأَلْوِيَةِ » .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراقّ(١)فلايَلِ ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغنى عن بعض العلماء أنهُ كان يلى ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلى ، لقول ابن عباس ـ وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل فى الحمام ـ إن الماء لايجنب، وإذا تنخمت فى المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال : هى خطيئة ، وكفارتها دفنها .

---

(١) المرق : مارق من البطن ولان .

دعاء النوم :

إذا نمت فقل عند منامك : « اللَّهُم أَنْتَ القَائِمُ الدَّائِمُ لاتَزُولُ ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيءٍ لاشَرِيكَ لَكَ ، عَلِمْتَ كُلَّ شَيء بِغَيرِ تَعْلِيم ، اغْفِرْ لى إِنَّهُ لايَغْفِرُ الذُّنُوب إلا أَنْتَ » .

بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ قال : أَلا قُلْتُم كَمَا قَالَ عَلِىّ بن أَبِى طَالِب – رَضِىَ الله عَنهُ – وهو الذى قال ماتَقَدَّم .

آداب قضاء الحاجة :

إذا أَتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولاتستنج بيمينك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – « أَنَّهُ كَانَ يَأْمُر أَصحابه أَنْ لايَسْتَقْبِلُوا ٱلْقِبْلَةَ ، ولايَسْتَنْجُوا بِأَيْمَانِهِم ، ولا يَسْتَنْجُوا بعَظْم ولا رَوْث » .

إذا انصرفتَ من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّه ماعَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَم ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ومَا لَمْ أَعْلَم ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ ما سَأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ . وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ ماعَاذَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللَّهُمَّ آتِنَا فى الدُّنْيَا حَسَنَةً وفى الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابِ النَّارِ » .

بلغنى عن ابن مسعود أَنه قال : مادعا نبىٌّ مرسل ولاعبد صالح بشىءٍ حسن إلا هو فيه ، يعنى فى هذا الدعاءِ .

لا تشتم عبداً لك ولا أَمَةً بِزنى فإنه ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أَنه قال : « مَنْ قَذَفَ أَمَةً أَوْ حُرَّة أَو يَهُودِيَّةً أَو نَصْرَانِيَّةً فَلَم يُضْرَب فى الدُّنْيا ضُرِبَ يَومَ ٱلْقِيامة ثمانينَ جَلْدَة » .

من أدب السفر واللقاء :

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح - إن شئت - على خُفَّيك إن كنت مسافراً ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزعن يدك عن يده ، حتى يكون هو الذى ينزع يده عن يدك ، بلغنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : أنه لم يصافح أحداً فنزع يده حتى يكون هو الذى ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقومن من بين يديه ، ولاتجاوزن ركبتك ركبته ، بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له . وإذا أحسست من أمير ظلامة أو تغطرساً فقل : « اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعاً ، اللهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وأَحْذَرُ ، وأَعُوذُ بِاللهِ المُمْسِكِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ مِن شَرِّ فُلان ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جاراً مِنْ فُلانٍ وجُنُودِهِ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُم أَوْ أَنْ يَطْغَى ، جَلَّ جَلالُكَ ، وعَزَّ جَارُكَ ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ » . تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغنى عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به .

وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلاتكتبن سلام الله

عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه كتب ذلك إلى مُسَيلمة .

إذا عَطَسْتَ فى الخَلاءِ ، فاذكر اسم الله خفياً . لاتدهن فى مُدْهُن ذهب ولا فضة ، ولاتستجمر فى مجامر الذهب والفضَّة ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم –أنه نهى عن الشرب فى إناء الذهب والفضَّة.

لاتنم على الحرير والديباج فإنه لِبسَة النساء ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنهُ نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إذا رأيت أمراً فى أهلك وخاصتك مما ينبغى تغييره ، فلا تحابِيَنَّ منهم أحداً ، وقم فيه بالذى يحق عليك ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً » .

إذا هممت بأمر من طاعة الله – عز وجل – فلا تحبسه إن استطعت فواقاً حتى تمضيَهُ ، فإنك لا تأمن الأَحداث ، وإذا هممت بأَمر غير ذلك ، فإن استطعت أن لاتمضيه فواقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

لاتستحى إذا دُعيت لأَمر ليس بحق أن تقول : لا . فإن الله تعالى يقول : (واللهُ لايَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ) (١) .

إذا سمعت المؤذن يؤذن ، فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حىَّ على الصلاة ، حىَّ على الفلاح : لاحول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى ذلك عن النبى – صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأحزاب : ٥٣

لاتخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ماخلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغى إذا فرغ من أمّ القرآن أن يقول آمين، ويقوله من خلفه سرًّا ولا يجهر به ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّ اَلملائكَةَ تُؤَمِّنُ لِتَأْمِينِ الإِمَام ، فَمَنْ وَافَقَ مِنْكُم تَأْمِينَ اَلملائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشىء حتى تغسل فرجك بالماء ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال لأهل مسجد قباء : إِنَّماَ نزلَتْ هذه الآية فيكم :(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ اُلمطَّهِّرِينَ)(١) فأَنْبِئُونى ماهٰذَا التَّطْهِيرُ الَّذى ذُكرْتُم بِهِ فاثْبُتُوا عَلَيهِ ، قالوا : والذى بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيًّا مَامِنَّا امْرَأَةٌ ولا رَجُلٌ يأْتِى الخَلاءَ فَيَبْدَأُ بِشَىءٍ دُونَ غَسْلِ فَرْجِهِ بالماء .

إذا أكلت طعاماً فَعَلِقَ بين أصابعك فالعقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لَيْسَ شَىءٌ أَشَدَّ عَلىٰ اَلملَكِ مِنْ أَنْ يَرَىٰ فى الرَّجُلِ طَعَاماً وهُوَ يُصَلى » .

إذا نزلت منزلا فقل : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ماخَلَقَ ، بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا فَقَالَ هٰذِهِ الكَلِمَاتِ ، وُقِىَ شَرَّ مَنزِلِهِ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْهُ » .

---

(١) التوبة ١٠٨

لاتأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئاً من ثمن شراب لايحل لك شربه . قال النبي – صلى الله عليه وسلم – فى الخمر : « إنَّ الَّذى حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا » .

ولا تَدَّاوَ بشيءٍ لايحل لك أكله ولاشربه ، ولاتبعْهُ ، ولاتشتره ، ولا تطعمه ، ولا تُطْعِمه أحداً ، ولا تسقِه ولاتُدَاوِ به أحداً صغيراً ، ولا كبيراً ، ولابهيمة ، ولا غيرها . بلغنى عن بعض علماءِ الصحابة أنه نُعِتَ لبعير له خمر فقال : لا والله لا أوجره خمراً .

لا تأكل لحم شيءٍ من السباع ، ولا ذا مخلب من الطير ، بلغنى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – : « نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِى نَاب مِنَ السِّباع».

إذا فَزِعْتَ فى مَنَامك فقُل : « أَعُوذُ بكَلِمَات الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وعقَابِهِ ، ومِنْ شَرِّ عِبَادِه ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وأَنْ يَحْضرُونِ » .

بلغنى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : إذا فَزِعَ أَحَدُكُم فى مَنَامِهِ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ .

إذا قلت لأَحد : أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذى أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفِّر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كُنتَ وَقَّتَّ له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت.

لاتبدأنَّ أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سَلَّم هو فقل : وعليكم ، بلغنى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بذلك .

لابأس أن تأكل جُنُباً – وإن كنت لم تتوضأ – إذا غسلت يديك .

لاتقل لأحد صلى الله عليك ، بلغنى عن ابن عباس رضى الله عنهما إنه قال : لاتنبغى الصلاة من أحد لأحد إلاللنبى عليه السلام .

ولاتقل لأحد جعلنى الله فداءك ، قال الزبير ذلك للنبى – عليه الصلاة والسلام – وهو مريض ، فقال له – عليه السلام : « ماتركت اعرابيتك بعد » وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : لايفد أحد أحداً .

لابأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : أربعة ليس عليهم جنابة : الأسنان والماء والثوب والأرض .

لابأس بمصافحة اليهودى والنصرانى والصلاة فى بيوتهم .

لاتبلغ بشىء من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على جُرْم اجترَمه أربعين سَوْطاً . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَلَغَ حَدًّا فى غَيْرِ حَدٍّ فَهُوَ مِنَ المُعْتَدِينَ » .

إذا أحببت أحداً لله فأعلمه ، فى ذلك أن رَجلاً قال للنبى – صلى الله عليه وسلم –: « إنِّى أُحِبُّ فُلاناً لله ، قالَ : أَمَا أَخْبَرْتَهُ ؟ قالَ : لا ، قال : فَأَخْبِرْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ : أَحَبَّكَ اللهُ الَّذِى أَحْبَبْتَنِى لَهُ » .

لاتشفع فيمن وجب عليه حَدٌّ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحل دونه ، ولابأس أن تشفع قبل ذلك، قال ذلك بعض علماء الصحابة ، وتشفع فى سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ قال : لابأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فاذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو عفا عنه .

الزم الصمت ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « لايَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الإِيْمَانَ حَتَّىٰ يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وإذا أتيت قرية أو بلداً فقل : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنا خَيرَهَا ، واصرف عَنَّا وَبَاءَهَا » كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول ذلك إذا دنا من قرية .

إذا عطَستَ فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم ، فقال : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان على – رضى الله عنه – يقولها لمن عطس ، ويقول ذلك : يَهْدِيكَ الله ويُصلحُ بالك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولاتشمته حتى يحمد الله ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « مِنْ حَقِّ المُسْلِم إذا عَطَسَ أَنْ يُشَمَّتَ إذا حَمَدَ الله » .

وقِّر الكَبير وارحم الصغير ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنا » .

لاتصافح امرأة ليست لك بزوجة ولا مِلك يمين ، ولا تضع يدها على شيء من جسدك ، ولا تضع يدك على شيء من جسدها ، ولاتقبل يدك ولاشيئاً من جسدك ، ولاتعانق رجلا،ولا تقبل ليس بذى رحم لك، واصنع ذلك بذى رحمك ، فقد ضم النبي – صلى الله عليه وسلم – جعفر ابن أبي طالب حين قدم من الحبشة إلى نفسه ، وقَبَّل بين عينيه .

لا ترفع صوتك فى مسجد جماعة ،ولا تشهر فيه سلاحاً ، فقد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عنه .

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .

لاتَمْنُنْ على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجرك ، قال عز وجل : (لاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمنِّ والأَذَىٰ)(١).

مكافأة المعروف :

ومن أولاك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفاً فلم يقدر على مكافأته إلا بالثَّناء فقد شكره ، ومن كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظَاهِرُها مِنْ باطِنِهَا ، وبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِها . قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قال : لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وتَابَعَ الصِّيام ، وطَيَّبَ الكَلاَمَ ، وصَلى بِاللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ » .

إذا عملت عملا لله فأحسنه لقوله تعالى : (لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا) (٢).

لاتعجل على أحد بعقوبة ، ولاتتهمه حتى تحققه .

لاتأتِ أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حِسَّك . قال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ قالوا : كَيفَ نستحي من الله حق الحياء ؟ قال : احْفَظُوا الرَّأسَ ومَا حَوَىٰ ، والبَطْنَ ومَا وَعَىٰ ، واذْكُرُوا الموتَ والبَلا ، وذَرُوا زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا » .

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) هود : ٧ ، الملك : ٢

إذا أصبحت فقل : « اللَّهُمَّ لا إلٰه إلا أَنْتَ وَحْدَكَ لاشَرِيكَ لَكَ، لَكَ المُلْكُ ولَكَ الحَمْدُ لاشَرِيكَ لَكَ ،عَشرَ مَرَّاتٍ . قال النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصبحُ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَحرُسَانِهِ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وإذَ قَالَهَا لَيلاً فَكَذٰلِكَ حَتَّىٰ يُصْبح » .

إذا كنت فى العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأتَ أجزأك . سأل رجل عليًّا عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة .

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعو ، وقل : اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، الحَمْدُ لله ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذَا الشَّهْرِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ القَدَر ، وشَرِّ يَوْم المَحْشَرِ .

لاتَؤُمَّنَّ أحداً فى بيته ولا فى سلطانه إلا أن يأذن لك ، وذلك أنه بلغنى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « لايَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فى بَيْتِهِ ولا فى سُلْطَانِهِ إلا بِإِذْنِهِ » .

ولا تحب من الناس أن يَمْثُلُوا لك قياماً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِياماً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

إجابة الدعوة :

أجب الدعوة إذا دُعِيت ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدَّعْوَةُ يَوْم العُرْسِ حَقٌّ » وقال : « لَو دُعِيتُ إلى كِرَاعٍ لأَجَبْتُ » .

إذا حلفت على شىء ، وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعهما ما لم يكن مَعْصية .

احتجم فى سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، أمر النبى – صلى الله عليه وسلم – بذلك .

إذا عدت مريضاً فأَخِفَّ العِيَادة ، وأَقلَّ اللُّبث .

إذا مررت بالمقابر فقل :السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

تشييع الجنازة :

لابأس أن تمشى أمام الجنازة ، مشى النبىُّ – صلى الله عليه وسلم – ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ولاتنزل ، حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغنى ذلك عن بعض الصحابة .

لاتنفخ فى الطعام والشراب ، فإنه جفاءٌ ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك فى عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام الحجر ، وعرفة ، وجمع ، والصفا ، والمروة ، والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذى إبهامُك أُذنك ، وتبسطهما عند صدرك فى باقى ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبى – صلى الله عليه وسلم – اللاعب به وقال : « إيَّاكُمْ وإيَّاهُ » .

لاتمضغ العلك ، ولاتخلل إزارك ، ولاتجرَّد ولاتحذف ، قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : « إنَّهَا مِنْ أَخْلاقِ قَوْم لُوط » .

اجمع الصُّوَّامَ عند فطرك على طعامك . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، ولايَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيءٌ »

واعلم – رحمك الله – أن الله تعالى خصك من موعظتى بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك ، وسبباً إلى الجنَّة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى ، واتِّباع ماهو أهله ماترجو به القربة عند الله تعالى ، ولايكن ذلك مما تظلف (١) عنه نفسك ، وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه – إن شاء الله – حتى توقفها على الذي لاينبغى لك التقصير بها عنه – إن شاء الله تعالى –

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

***

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده (٢)

الحمد لله الذى لايروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه المثقوب ، ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولايبغته الفراق المعتوب ، ملهم الهدى الذى تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة من قسم الوجوب ، لاسيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب :(أَمْ كُنْتُم شُهَدَاءَإِذْ حَضَرَ يَعْقُوب الموت)(٣) و (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيم بَنِيهِ ويَعْقُوب..)(٤)والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ، وأشرف مَنْ خُلِعَت عليه حلل المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ،

---

(١) تظلف عنه نفسك : – أى تكفها عنه . (٢) نفح الطيب جـ ٤ ص ٤١٩ ٤٢٦

(٣) البقرة : ١٣٣ (٤) البقره : ١٣٢

ولاتصمه العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب ،والأمل المسلوب ، والاقتداء الموصل المرغوب ، والعز والأمن من اللغوب .

* وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بِقمَّته ، وقادنى الكِبرُ بِرُمَّته ، وادَّكرت الشَّباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد العظام على ما رضعت ، وتأكد وجوب نصحى لمن لزمنى وَعْيُه ، وتعلق بعينى سعيه ، وأَمَّلتُ أن تتعدَّى إلىَّ ثمرة استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفى برزخ أموات، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضت عثارى إن سلك، وعسى أن لايكون ذلك على آثارى ، فقلت أُخاطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخَلَد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يمنَّ علىَّ منهم بحسن الخلف ، والتلافى من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ،فهو ولى ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

* اعلموا هداكم الله تعالى .. الذى بأنواره تهتدى الضُّلاَّل ، وبرضاه ترفع الأغلال ،وبالتماس قربه يحصل الكمال ،إذا ذهب المال ، وأُخْلِفَتِ الآمَال ، وتبرَّأت من يمينها الشمال ، أنِّى مُوَدِّعكم وإنْ سالمنى الرَّدىٰ ، ومفارقكم وإن طال المدى، وماعدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تُجمع ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقَلَّ للحبيب المودّع من وصية محتضر ، وعجالة مقتصر ، ورتيمة (١) تعقد فى خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واع مُبْصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم من

---

(١) خيط يربط فى الاصبع للتذكير بشىء معين .

الشفقة والحنوّ قصدى ، حسبما تَضَمَّنَ وعد الله من قبل وعدى ، فهى أَرَبُكُم الذى لايتغيَّر وقفه ، ولا ينالكم المكروه مارَفَّ عليكم سقفه ؛ وكأنى بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبناشطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونُصول الشيب تروع بأسل (١) ، لابل السام (٢) من كل حدب نسل ، والمعاد اللحد ولاتسل .

* فبالأمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر مجر ، وغداً شيوخ مضيعة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأُولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُتَّعظ به فى أمر ، وقال بيدى لابيد عمرو ، فاقتنوها من وصية ، ومَرامٍ فى النصح قَصِيَّة ، وخُصُّوا بها أولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا .

* وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملا ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، ولا رضى الدنيا منزلا ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ، ولتُلَقَّنُوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا بعد أن أنفرد بذنبى ، ويفترش التراب جنبى ، ويسح انسكابى ، وتهرول عن المصلى ركابى ، أحرص منى على سعادة إليكم تُجْلَب ، أو غاية كمال بسببكم ترتاد وتطلب ، حتى لا يكون فى الدِّين والدنيا أورف منكم ظلا ، ولا أشرف محلا ، ولا أغبط نهلا وعلا ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا إلى قولى الآذان ، وتستلمحوا صبح نصحى وَقَدْ بان ، وسأُعيد عليكم وصية لقمان :

---

(١) الأسل : الرمح المسنون .

(٢) الموت .

* أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم (وإذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وهوَ يَعِظُهُ : يَابُنَىَّ لاتُشْرِكْ بِالله ،إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم)(١).(يَابُنَىَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنكَرِ واصْبِرْعَلىٰ ما أَصَابَكَ، إنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ، ولاتُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ ولاتَمْشِ فى الأَرْضِ مَرحاً، إنَّ اللهَ لايُحِبّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . واقْصِدْ فى مشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ،إنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوتُ الحَمِيرِ)(١) .

* وأُعيد وصية خليل الله ورسوله ، حكم ماتضَمَّنه محكم تنزيله : (يابَنِىَّ إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُونَ)(٣) .

والدين الذى اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مُصطفاه ، من قبل أن يتوفَّاه ، إذا أُعْمِلَ فِيه انقياد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرَّر ومستمد من عقل أَو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبناؤُه مع رفض أخيه متهدم ، فالله واحد أَحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأَكوان ، خالق الخلق وما يعلمون ،الذى لايُسأَل عن شىءٍ وهم يُسْأَلُون ، الحى العليم المدبر القدير ، ليس كمثله شىءٌ وهو السميع البصير ، أَرسل الرسل رحمة ، لتدعو الناس إلى النجاة من الشقاء ،وتوجه الحجة فى مصيرهم إلى دار البقاء ، مؤيدة بالمعجزات التى لاتتصف أَنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بنَبِىٍّ ملَّتنا المرعية الهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق

---

(١) لقمان : ١٣ (٢) لقمان: ١٧ – ١٩

(٣) البقرة : ١٣٢

بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأُمة نشراً ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوِّط عنه فى منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه .

* رُوِىَ عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال : « تَرَكْتُ فِيكُم مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضلُّوا بَعْدِى ، كِتَاب الله وسُنَّتِى ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ » .

* فاعملوا يابنى بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وَعُوا مراشد هديه ؛ فَيَا فَوْزَ واعيه ، وصِلُوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به ، مجملا أو مفصلا على حسبه ، وأَوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وفَضِّلُوا منهم أُولى الفضل الشهير ، وتَبَرَّؤُوا من العصبية التى لم يَدْعُكُم إليها داع ، ولاتَع التشاجر بينهم أُذن واع فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم استحبُّوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة ، وأَئمتها الجلة ، فهم صَقَلَة نصولهم ، وفُرُوع ناشئة من أُصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم .

* واعلموا أَننى قطعت فى البحث زمانى ، وجعلت النظر شأنى ، منذ برانى الله تعالى وأَنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ، فلم أَجد خابط ورق ، ولامصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التى يقصدها قد

نضلتها الشريعة وسبقتها، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعليكم بالتزام جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول ـ وهو أصدق القائلين ـ : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)(١) .

* وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة ، والله أصدق الواعدين ،ومتاع الحياة الدنيا أخس ماورث الأولاد عن الوالدين، اللهم قد بلّغت فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء الخلود ، وتستدعى شَوْهَ الوجوه ، ونضج الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سخطه ، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأمل الزائل ائتلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولاتأسوا على مافات وتعذّر ، فإنما هى دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرباح ، ودونكم عقيدة الإيمان فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا (٢) الشبه أن تدنوا إليها .

* واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لايرفؤه عمل ، وكل ماسوى الراعى همل ، وما بعد الرأس فى صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا

---

(١) آل عمران : ٨٥ (٢) كفكفوا : امنعوا .

بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة، وتفكروا فى آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأوَّلوه ولا تغلوا فيه ، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ، وصونوا شعائر الله صون المحترم ، واحفظوا القواعد التى ينبنى عليها الإسلام حتى لاينخرم .

الله الله فى الصلاة ذريعة التجلة ، وخاصة الملة ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ، وأم العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ، والناهية عن الفحشاء والمنكر ، وإن عرض الشيطان عرضهما ، ووطَّأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما ، والوسيلة إلى بل الجوائح ببَرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ، والشاهدة للعبد برفع الملامة ، وغاسول الطبع إذا طَبَع (١) ، والخير الذى كل ماسواه له تبع ، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدءٍ وإعادة ، فالخير عادة ، ولاتفضلوا عليها الأشغال البدنية ، وتؤثروا على العلية الدنية ، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس ، والفلك بها من أجلكم لايحبس ، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل ،والحكم الذى لايغيره العدو ولا الأصيل ، والوظائف بعد أدائها لاتفوت ، وأين حق من يموت من حق الحى الذى لايموت ،وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، واتبعوها النوافل ما أطلقتموها ، فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمراعاة استحقت الكمال ، ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح من إضاعة رأس المال ، وذلك أحرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البَعْض ، والطِهارة التى هى فى تحصيلها

---

(١) الدنس مطلقاً فى الجسم أو الخلق ، وهو أيضاً الكسل .

سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلاتصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها(١) والنيات فى كل ذلك فلاتهملوها ، فالبناءُ بأساسه ، والسيف بمراسه .

* واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بمقال ، واستعاض صدأه بِصِقَال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقته الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

* والزكاة أختها الحبيبة ، وَلِدتُها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى فى مال من أغناه ، لمن أجهده فى المعاش وعنَّاه ، من غير استحقاق مَلْءَ يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولاعلة إلا القدر الذى يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، فى اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض مابذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لاتملكون ، ولاتدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

* وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلفى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر

---

(١) إسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء ، وخاصة الوجه والقدمين ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » .

القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذاك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ماترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد فى ميدان الوسائل الباع .

* والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لايحجبه الحاجب ، وقد بيَّن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدره فيما فرض عن ربه وسنه ، وقال ليس له جزاءٌ عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه ، وإن عجزتم فأَعينوا مَن يستطيعه .

* هذه عُمُد الإسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

* واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب (١) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدى السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُونَ ، إنَّمَا يَتَذَكَّر أُولُوا الأَلْبَابِ)(٢).والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأُ الأَعلى ، وصفه الله فى كتبه التى تُتْلى ، والسبيل فى الآخرة إلى السعادة ، وفى الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذى قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لايغلبه

---

(١) الانتقاب : الاختفاء .

(٢) الزمر : ٩

الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمّ ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثرى لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جَرّاه ، وسهَر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لاتعزل ، وتحلوّهم مثابة رفعة لايحط فارعها ولا يستنزل ، واختاروا فى العلوم التى يتعقبها الوقت ، فلا يناله فى غيره المقت .

* وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها المُرِيعة ، من علوم لسان لاتستغرق الأعمار فصولها ، ولايضايق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هى آلات لغير ،وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلا للازدياد ، وألفىٰ فهمه فى انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع فى أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنة ، المهدى كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلّة ، والتدرب فى طريق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هى الغاية القصوى فى الملة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرمى ، وتقاعد عن التى هى أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه .

* وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لايفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر فى العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمة الصّغار ، وخمول

الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ، وجادة الشريعة أعرق فى الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر فى الجدال ، هذا ابن رشد قاضى المصر ومفتيه ، وملتمس الرشد ومواليه ، عادت عليه بالسخطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط فى ازدحامها ، ولاتخلطوا جامكم بجامها إلا ماكان من حساب ومساحة ، وما يعود بجدوى فلاحة ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور وحزم مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وأُمُرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانهوا عن المنكر نهياً حريًّا بالاعتدال حقيقاً ، واغبطوا من كان من سِنَة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ماتُنْهَوْن عنه حتى لاتسلكوا منه طريقاً .

* وأطيعوا أمر من ولاه الله من أُموركم أمراً ، ولاتقربوا من الفتنة جمراً ، ولا تداخلوا فى الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباءُ ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيءٍ عرف به .

* وإياكم والكذب فهو العورة التى لاتُوارى ، والسوأة التى لايُرْتَاب فى عارها ولايُتَمَارى ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدى الله ما أعدَّ له من العذاب ، أن لايقبل صدقه إذا صدق ، ولايعوَّل عليه إن كان بالحق نطق .

* وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفى وجه الديانة كلْم ، ومن الشريعة التى لايعذر بجهلها ، أداءُ الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولاتجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولاتوجدوا للغدر قبولا ، ولاتقروا عليه طبعاً مجبولا ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان

مسؤولا . ولا تستأثِروا بكنز ولا خزن . ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن، ولاتبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن، والله الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام ، أو مايرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان فى فسحة ممتدة . وسبل الله تعالى غير منسدة . مالم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه . ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه . قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سنناً قويماً . وجلىً من الجهل والضلال ليلا بهيماً :(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيْهَا وغَضَبَ الله عَلَيهِ ولَعنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) (١).

* واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد فى سبيل السعادة باعه . لو لم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه . فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه . ولا عدم إقناعه . ومن غلبت غرائز جهله . فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله .والله قد أعد للزانى عذاباً وبيلا .وقال : (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا)(٢) .

* والخمر أم الكبائر . ومفتاح الجرائم والجرائر . واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطاً . والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوغ وأعطى . وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد . ولا لنفوسهم بالمضرة فى مرضاة الأجساد . والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد . وقرنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السداد .

---

(١) النساء : ٩٣ (٢) الاسراء : ٣٢

* ولاتقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : (وذرُوْا مابَقى منَ الرِّبا إنْ كُنْتُم مُؤْمنين) (١) وقال : (فإنْ لَمْ تفْعلُوا فأْذنُوا بحَرْب منَ الله ورَسُوله) (٢) فى الكتاب المبين .

* ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى به أحدكم على قدمه ، ولايكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ، ولاتلجؤوا إلى المتشابه إلا عند عدمه ،فهو فى السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط ، وإياكم والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح العصيان ،والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد فى الصحاح الحسان ، والنميمة فساد وشتات ، لايبقى عليه متات(٣) ، وفى الحديث : « لا يَدْخُل الجَنَّةَ قَتَّات » (٤) واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود ، والبخل فما رُئِىَ البخيل وهو مودود ، وإياكم ومَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ فمواقع الخزى لاتستقال عثراتها ، ومَظَنَّات الفضَائح لاتؤمن غمراتها ، وتفَقَّدُوا أنفسكم مع الساعات ، وافشوا السلام فى الطرقات والجماعات ،ورقوا على ذوى الزمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات ، وعوِّلوا عليه وحده فى الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتم الموائد ، وتقرَّبوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ماورد فى ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى الأرحام ، والوشائج العادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع

---

(١) البقرة : ٢٧٨ (٢) البقرة : ٢٧٩

(٣) متات : توسل وتقرب .

(٤) القتات : النمام . يقال : قت الحديث أى نقله .

الظهر ، وتفسد السر والجهر ، والرُّشا فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصغار ، ولا تسامحوا فى لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل البطالة فى أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ، ولا تلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا القواطع عن السعادة كما تُحْذَر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذِيَّةَ المؤذين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا للأمراض إذا أعضلت ، فكل منقرض حقير ، وكل مُنقَضٍ وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأَرَج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا إلى الله تعالى بالدعاء ، والجئوا إليه فى البأساء والضرَّاء ، وقابلوا نِعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد ، ويعْذُب الوارد ، وأسهموا منها للمساكين وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار الشريفة : « ياعائشة ، أَحْسِنِي جوَارَ نِعَمِ اللهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم » .

ولاتطغوا فى النعم فتقْصُروا عن شكرها ، وتلقيكم الجهالة بسكرها ، وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجِدُّكُم حلبها ، فالله خير الرَّازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نُظِر بعَين اليَقين .

* والله الله لاتنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذْهِبُوا بزواله زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتدّ به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبرّ ، ومراعاة فى علانية وسرّ ، وللإنسان مزية لاتُجْهَل ، وحق لايُهمل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ؛ وصلوا التعاهد والتزاور ، ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ، ولاتتنافسوا الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساءُ أمراً فاحقروه .

* والله الله لاتنسوا مقارضة سَجْلى ، وبرُّوا أهل مودتى من أجلى ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ،الذى لايصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع فى العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو على بلده فى الافتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام النُّوَب الثقال ، وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال فى الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم فى مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لايقوم بشرها ، ونفعها لايقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بُلِىَ بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دَأْبُ الغِرِّ ، ولْيَصُن الدِّيانة ، ويؤثر الصمت ، ويلازم الأمانة ، ويَسِر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران ، قصد أقربهما إلى الحق ، وليتقف فى التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ، والزعازع تُسَالِم اللَّدْنَ اللطيفَ من الأغصان .

* وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختياراً أو جُبِرَ عَليها إكراهاً وإيثاراً ، فَلْيَتَلَقَّ وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتَوَقُّع عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلَّة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، وممن لاينقطع بسببه عمل أبيه .

* هذه ـ أسعدكم الله ـ وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيتم من فروعها ، واستفشيتم من دروعها ، اقتنيتم من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآليها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم .

* ومهما سئمتم إطالتها ، واستفزرتم مقالتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونَفَّقَ بَضَائعها المزجَّاة ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله سبحانه يَلْأَمُهُ حيث شاء من شمل متصدِّع .

***

وصـــية الخطاب بن المعلى لابنه

أخبرنى محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى حدثنى عبد الرحمن بن أبى عطية الحمصى ،عن الخطاب بن المعلى المخزومى القرشى أنه وعظ ابنه فقال :

« يا بنى ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارِمَه باتباع سنته ومعالمه ، حتى تصح عيوبك ، وتقرعينك ، فإنها لاتخفى على الله خافية ، وإنى قد وَسَمت لك وَسْماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ملأَت أعين الملوك ،وانقاد لك به الصعلوك ، ولم تزل مرتجىً مشرفاً يُحْتَاج إليك ، ويُرْغَب إلى ما فى يديك ، فأَطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك ، وفَرِّغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولُبَّك ، وإيَّاك وهَذْر الكلام ،وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاءَ ، ويوقع الشحناءَ ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولاخُيَلاءَ تحكى عنك ، والق صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكفِّ الأَذى ، من غير ذلَّة لهم ولا هيبة منهم ، وكن فى جميع أُمورك فى أوسطها ، فإن خير الأُمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وافش السلام ، وامش متمكِّناً قَصْداً ، ولا تخطَّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تَلْوِ عُنُقك ، ولا رداءك ، ولا تنظر فى عِطْفِك ، ولا تكثر الالتفات ، ولاتقف على الجماعات ، ولاتتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراءَ ، ولاتنازع السفهاءَ ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلستِ فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ،والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوأبة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك فى أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ،

وكثرة التثاؤب والتمطِّى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك .

* وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغضَّ عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولاجاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديثَ الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشىء منها طمع فيها السفهاءُ ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا فى عقلك ، ولا تَصَنَّع تَصَنُّعَ المرأة ، ولا تَبَذَّل تبذُّل العبد ، ولا تَهْلُب لحيتك ولاتُبَطِّنها (١) ، وتوقَّ كثرة الحفِّ ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف فى الدهن ، وليكن كحلك غِبًّا ، ولاتلحَّ فى الحاجات ، ولاتخشع فى الطلبات ، ولاتُعلم أهلك ووُلدك - فضلا عن غيرهم - عدَد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هُنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأَخِفهم فى غير عنف ، ولِنْ لَهُم فى غير ضعف ، ولا تهازل أَمَتك ، وإذا خاصمت فتوَقَّر ، وتحفَّظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكَّر فى حُجَّتك ، وأَر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، ولا تحفِّز على ركبتيك ، وتوَقَّ حُمرَة الوَجه ، وعرَق الجَبِين ، وإن سُفِّه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكَلَّم ، وأكرم عرضك ، والقِ الفُضُول عنك ، وإن قرَّبك سلطان فكُنْ منه على حد السِّنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبى ، وكلمه بما يشتهى ،ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك ، وخاصته بك ،

(١) هلب الشعر : نتف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الذقن والحنك من الشعر .

أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً . فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صَرْعَةٌ لاتنهض ، وذلّة لاتُقال ، وإذا وعَدْتَ فَحَقِّق ، وإذا حدَّثت فاصدق ، ولاتجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخيَّر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشَنِّعَة التى تنكرها القلوب ، وتقفُّ لها الجلود (١) ، وإياك ومضعَّف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك . وإذا توضَّأت فَأَجِدْ عَرْك كفَّيك ، وليكن وضعك الحُرُض (٢) من الأشنان فى فِيْكَ كفعلك بالسواك ، ولا تَنَخَّع فى الطَّسْت . وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ، ولا تَمُجَّ فَتَنْضِحَ على أقرب جلسائك ، ولا تَعَضَّ نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه . ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالمشاش (٣) . ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل . فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تُبَذِّر تَبذير السفيه المغرور ، واعرف فى مالك واجبَ الحُقُوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، وربّ أكلة تمنع أكلات . والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوىٰ فى بعيد القعر ،

---

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرض – بزنة قفل أو عنق – الأشنان تغسل به الأيدى إثر الطعام .

(٣) المشاش – بزنة غراب – العظم الذى لامخ فيه .

والصدق زين ، والكذب شين ، ولَصِدقٌ يُسْرِع عطب صاحبه ، أحسن عاقبة من كذبٍ يسلم عليه قائله . ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولَقُرب ملك جواد ، خير من مجاورة بحر طرَّاد . وزوجة السوء الدَّاءُ العُضَال . ونكاح العجوز يُذْهِب بماء الوجه . وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

* تشبَّه بأهل العقل تكن منهم . وتصَنَّع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرىءٍ حيث وضع نفسه . وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرءُ يعرف بقرينه . وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم . وقربُهُم أعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم . والعجلة شؤم . وسوءُ التدبير وهن .

* والإخوان اثنان : فمحافظ عليك عند البلاء . وصديق لك فى الرخاء . فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فإنهم أعدى الأعداء .

* ومَنِ اتَّبَع الهَوَىٰ . مال به الردى . ولا يعجبنك الجهل من الرجال . ولاتحتقر ضئيلا كالخلال (١) فإنما المرءُ بأصغريه : قلبه ولسانه . ولاينتفع به بأكثر من أصغريه .

---

(١) الخلال – بكسر الخاء . بزنة الكتاب – العود الذى تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ فى النحافة .

وتوقَّ الفساد ، وإن كنت فى بلاد الأعادى ، ولاتفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولاتكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليسك ، والقبول ممن لاقاك .

* وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرِّباً متعزِّزاً منتهزاً فى فرصتك ، رفيقاً فى حاجتك ، متثبتاً فى حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر مايُلزمك اللائمة فى آخرتك ، ولا تعجل فى أمرٍ حتى تنظر فى عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

* وعليك بالنُّورة فى كل شهر مرة ، وإياك وحلاقَ الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استَكْتَ فعرْضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومَنْ أيسَرَ أكْبِرَ ، ومن افتقر احتقر ، قصر فى المقالة مخافة الإجابة ، والساعى إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناءٌ ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوَقاح(١) وزير ، والحليم مطيَّة الأحمق ، والحمق داءٌ لا شفاءٌ له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ،

---

(١) الوقاح — بفتح الواو — الوصف من الوقاحة ، وهى الإفراط فى سوء الأدب .

وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجر ، والشح شقاءٌ ، والشجاعة بقاءٌ ، والهدية من الأخلاق السَّرية ، وهى تورث المحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار دَيْناً ، ومن المعروف ابتداءٌ من غير مسألة ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولَرِياءٌ بخير خير من معالنةٍ بشر . والعرق نزَّاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن حَلَّ عَقداً احتمل حقداً ،ومراجعة السلطان خُرق بالإنسان . والفرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة . وكثرة العلل من البخَل ، وشر الرجال الكثير الاعتلال . وحسن اللقاء يذهب بالشحناء . ولين الكلام من أخلاق الكرام .

* يابنى ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت بنكاح امرأة فَسَل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

* واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف . فتوقَّ منهن كل ذات بَذا . مجبولة على الأذى . فمنهن المعجبة بنفسها . المزرية ببعلها . إن أكرمها رأته لفضلها عليه . لاتشكر على جميل . ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل . قد كشفت القِحَةُ ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحى من إعوارها . ولا تستحى من جارها . كلبة هرارة ، مهارشة عَقَّارة (١) فوجه زوجها مكلوم . وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ،ولا تحفظه لصحبة . ولا لكثرة بنين ، حجابه مهتوك . وستره منشور . وخيره مدفون . يصبح كئيباً ، ويمسى

---

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

عاتباً ، شرابه مرّ ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسَبُه مثل العقرب الجرارة .

* ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع (١) ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما فى يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

* ومنهن الورهاءُ الحمقاءُ (٢) : ذات الدَّل فى غير موضعها ، الماضغة للسانها ، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، تنتشر الشمس ولما يُسمَع لها صوت ، ولم يُكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناؤُها وَضِر (٣) ، وعجينها حامض ، وماؤُها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

---

(١) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المرىء .

(٢) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر .

(٣) الوضر — بفتح الواو والضاد — : بقية الدسم والدهن فى الإناء ، والوضر — بكسر الضاد — الوصف منه .

* ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبها ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، وموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

* جعلك الله – يابنى – ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجتنب السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتى عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبى الهدى وعلى آله ، وسلم تسليماً كثيراً .

***

نصيحة الامام تركى آل سعود الى أهل الأمصـــار (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركى بن عبدالله ... إلى من يراه من المسلمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .. فموجب الخط إبلاغكم السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة لكم ، والشفقة عليكم ،

---

(١) هو تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وهو خامس حاكم من آل سعود ، تولى الحكم من سنة ١٢٣٥ إلى ١٢٤٩ هـ حارب الحكم العثمانى ، وحكم أسرة محمد على الألبانى الذى حكم مصر أيضا ، فنشر رجاله الظلم والفساد :

وبعد ان استتب الأمر للامام تركى ، وبايعته البلاد ، والتف الشعب حوله ، أرسل هذا المنشور الى أهل الأمصار ، لتلاوته فى المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو أشبه بدستور للحكم :

والمعذرة إلى الله تعالى ، إذ ولانى الله تعالى أمركم ، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم فى الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن إذا أُعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ، ووعدهم على ذلك بالمزيد .

قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُم ، ولَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابى لَشَدِيدٌ) (١) .

فالذى أُوصيكم به ، تقوى الله فى السر والعلانية ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ ويَخْشَ اللهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٢).

* وجماع التقوى أداءُ ما افترضه الله سبحانه ، وترك ماحرَّم الله ، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولايخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها وهى عمود الإسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، من أقامها فقد أقام دينه ، ومن ضيعها فهو لِمَا سِواها أضيع ، وهى آخر ما أوصى به النبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهى آخر وصية كل نبى لقومه ، وهى آخر ما يذهب من الدين ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

* وبعض الناس قد يُسيء فى صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلِّى وحده ، أو فى نخله هو ورجاله ، والمسجد جار له . وفى الحديث : « لا صَلاَةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إلاَّ فى الْمَسْجِدِ » وهمَّ النَّبى - صلى الله تعالى عليه وسلم - أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق » .

---

(١) ابراهيم : ٧ (٢) النور : ٥٢

* وهذه أمور مايخفاكم وجوبها ، لكن الكبرى عدم إنكار المنكر ، وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كُلاًّ ذنبه على جنبه ، وفى الحديث : « لتأمُرنَّ بالمعروف ، ولتنهوُنَّ عنِ ٱلمنْكَرِ ، ولتَأْخُذنَّ على يَدِ السَّفيهِ ، ولتَطْرُونَّ عَلى الحَقِّ إطْرَاءً ، أَوْ لَيعمَّنَّكُم الله بِعِقَابِه » .

* وكذلك الزكاه . وبعض الناس يبخل ويستخف بها ، ويجعلها من دون ماله (١) ، والعياذ بالله تعالى ، وأنتم تعلمون أنها من أركان الإسلام . قال الله تعالى : (والَّذِينَ يَكْنزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَهَا فى سَبِيلِ الله فَبَشِّرهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَومَ يُحمىٰ عليها فى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُم وجُنُوبُهم وَظُهُورُهُم ، هٰذَا ماكَنَزْتُم لأَنْفُسِكُم فَذُوقُوا ما كُنْتُم تَكْنزُونَ)(٢) .

* وقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّة ، لايُؤَدِّى حَقَّ الله مِنْهُ ؛ إلا إذَا كَانَ يَوم القيَامَة صفِّحَتْ لَهُ صَفَائِح ، وأُحْمِى عَلَيْهَا فى نَارِ جَهَنَّم ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبِينهُ وظَهْرِه ، كُلَّمَا بَردَتْ أُعِيدَتْ ، فى يَوم كَانَ مِقْدَارهُ خَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ ، حَتَّىٰ يقضى بَيْنَ العِبَاد فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّة وإمَّا إلىٰ النَّارِ » .

* ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم ، وكل مالا تؤدَّىٰ زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ، ولو كان من زرع فقد زكى إذ حال عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو ثمر أو أثمانها ، كل ما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، والله يبتلى الغنى بالفقير ، وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فنرجو الله تعالى أن يقبلها منه ، ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين .

---

(١) دون المال : أدناه وأرخصه . (٢) للتوبة : ٣٤ ، ٣٥

* وكذلك معاملة الربا ، تفهمون أنها أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب لله ورسوله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قال الله تعالى : (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ،واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١) وقال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لايَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسِّ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قالُوا إنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبَا . فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللهِ ،ومَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ،هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(٢)

* وفى الحديث أن النبى ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قال :

« لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ومُؤكِلَهُ وكَاتِبَهُ وشَاهِدَيْهِ » فلفيهم سواء . فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية . وأن من لم ينكر على العاصى كالمرائى فهو مثله . وفى حديث آخر : « الربا سَبْعُونَ ضَرْباً أَيْسَرُهَا مِثْلُ مَنْ يَنْكِحُ أُمَّهُ » . وفى الحديث أيضاً : « أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ لايُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ولايُذِيقُهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الخَمْرِ . وآكِلُ الرِّبَا ، وآكِلُ مَالَ اليَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ . والعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ » .

* ومن أنواع الربا : الطعام بالطعام إلى أجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والتفرقة قبل القبض . وفى الحديث : « الذَّهَبُ بالذَّهَبِ . والفِضَّة بالفِضَّة ، والبُرّ بِالْبُرِّ ، والشَّعِيرُ بالشَّعِيرِ ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ . والمِلْحُ بِالْمِلْحِ يداً بِيَد ، وَزْناً بِوَزْن ، كَيْلا بِكَيْل ، فَمَنِ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى الآخِذ والمعطِى » . فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

---

(١) آل عمران : ١٣٠ (٢) البقرة : ٢٧٥

* ومنه القرض الذى يجر منفعة ، وفى الحديث : « كُلُّ قَرْض جَرَّ نَفْعاً فَهُوَ رِبا » وكذلك قلب الدَّين بالدين على المعسر ، إذا كان فى ذمته دراهم ، فعجز عن وفائها ، فأسلمها إليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية .

* وكذلك بيع العِينة وهو حرام . بأن كان عند رجل سلعة ، فاشتراها منه إنسان إلى أجل ، ثم اشتراها منه صاحبها الذى باعها بنقد دون ثمنها .

* وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذى له معاملة ، أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه . والجاهل يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال . فأنتم استعيذوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

* وكذلك المكاييل والموازين . وأنا مُلزِمٌ كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده . صغارها وكبارها . وينظر فيها عن الخلل . وتكون على مكيال واحد ؛ وكذلك تفعلون بالموازين وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذِمِّى كما فى الحديث : « أَدِّ الأَمَانَةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ . ولاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

* وكذلك تفقَّدوا الناس عن المعاشر الرديئة . والذين يجتمعون على شرب النتن والنشوق به .

وكل أهل بلد لابدّ أن يرتبوا مجالس الدرس فى الجوامع . فإن كانت خاوية فلابدّ أن يعمروها . والذى يُعْرَف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا .

* وأنا مُطْلِق الأَمر بالمعروف ، والتناهى عن المنكر ، إذا كان عن علم ينصح أولاً ، ويؤدَّب ثانياً ، ومن عارض مِنْ خاص أو عام ؛ فأدبه الجلاءُ عن وطنه ، وهذا من ذمتى فى ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر .

* وأنا أُشهد الله عليكم أنى برىءٌ من ظلم من ظَلَمكم ، وإنَّا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم . .

(واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا ، وكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (١) ؛ وأعزكم الله بعد الذلة ، وجمعكم بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ؛ والسلام .

***

(١) آل عمران : ١٠٣

وصية الشيخ حسن البنـا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين :

علينا أن نفهم الإسلام فى حدود هذه الأُصول العشرين الموجزة :

١ ــ **الإسلام نظام شامل** ، يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأُمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ؛ وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاءٌ ؛ وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ؛ وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، سواء بسواء .

٢ ــ **والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة**، مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام دينه ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ ــ **والإيمان الصادق**،والعبادة الصحيحة والمجاهدة ــ نور وحلاوة، يقذفهما الله فى قلب من شاء من عباده . ولكن الإلهام والخواطر ، والكشف والرؤى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ – **والتمائم والرقى** ، والودع والرمل ، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب ؛ منكر تجب محاربته ، **إلا** ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥ – **ورأي الإمام ونائبه** فيما لانص فيه ، وفيما يحتمل وجوهاً عدة ، وفى المصالح المرسلة معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦ – **وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم** – صلى الله عليه وسلم – ؛ وكل ما جاء عن السلف – رضوان الله عليهم – موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لانعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونَكِلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدَّموا .

٧ – **ولكل مسلم يبلغ درجة النظر** فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع ، أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى ، إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ – **والخلاف الفقهى فى الفروع** لا يكون سبباً للتفرق فى الدين ، ولا يُؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظلِّ الحب فى الله ، والتعاون

على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ ــ **وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل** ، فالخوض فيها من التكلف الذى نُهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع ، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب ــ رضوان الله عليهم ــ وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ، وفى التأول مندوحة .

١٠ ــ **معرفة الله تبارك وتعالى وتنزيهه** وتوحيده أسمى عقائد الإسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من المتشابه ؛ نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولانتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه (والرَّاسِخُونَ فى العِلْم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كلٌّ مِنْ عِنْد رَبّنَا) (١) .

١١ ــ **وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها** ، استحسنها الناس سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها .

---

(١) آل عمران : ٧

١٢ــ والبدعة الإضافية ، والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى لكلٌ فيه رأيه ، ولا بـأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ــ وصحبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم – قربة إلى الله ، – تبارك وتعالى – والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : (الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون)(١)والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم – رضوان الله عليهم – لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فى حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ ــ وزيارة القبور أياً كانت ؛ سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًّا كانوا ، ونداؤهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات – كبائرٌ ، تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ ــ والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ــ والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصودة بها ، والوقوف عندها . كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

---

(١) يونس : ٦٣

١٧ ــ **والعقيدة أساس العمل** ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مرتبات الطلب .

١٨ ــ **والإسلام يحرر العقل** ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن ، أنَّىٰ وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ ــ **وقد يتناول كل من النظر الشرعى** والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى ــ فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار .

٢٠ ــ **ولاتكفر مسلماً نطق بالشهادتين** ، وعمل بمقتضاهما ، وأدَّىٰ الفرائض ــ برأيٍ أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذَّب صريح القرآن ، أو فسَّره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لايحتمل تأويلا غير الكفر .

فإذا علمت دينك فى حدود هذه الأُصول ، فقد عرفت معنى قوله تبارك وتعالى : (اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِى ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً) (١) .

---

(١) المائدة : ٣

وعرفت أن القرآن أحكم دستور ، وأن تعاليمه أحكم التعاليم وأنفعها لتقدم البشرية ، وأصونها من الزلل ، وصدق الله العظيم حيث قال : (أَلا يَعْلَمُ مَن خلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) . (١)

***

(١) لقد كتب – رحمه الله – هذه الوصية وهو في أحد المعتقلات بشعور المودع للدنيا – وكان يرجو أن يجتمع المسلمون على مثل هذه المبادىء المدروسة لينتهى ما بينهم من خلاف حول الأمور العقائدية والفقهية – والآية من سورة الملك : ١٤

obeikandl.com

متفرقات

لأبى حيان (١)

أمـا إنه لـولا ثـلاث أُحِبُّهـا
تَمنَّيْتَ أنى لا أُعَـدُّ مـن الأحيـا
فمنهـا رجـائى أن أفـوز بتوبة
تكَـفِّر لى ذنبا وتُنْجِـح لى سعيـا
ومنهـن صَوْنى النفس عن كل جاهل
لئيم فـلا أمشى إلى بابه مشيَـا
ومنهن أخذى بالحديثِ إذا الورى
نَسُوا سنة المختـار واتَّبعوا الـرأيـا
أتترك نصًّا للرسـول وتَقتـدِى
بشخصٍ ؟ لقد بَدَّلْتَ بالرَّشَد الغَيَّـا

وله أيضا :

يـا مُنْضِىَ الطَّرفَ فى ميـدان لـذّته
وناضى الطرف بين الـراح والـرُّود (٢)

---

(١) هو محمد بن يوسف بن على الغرناطى .

(٢) منضى : متعب ، والطرف – بكسر الطاء – : الفرس ، والطرف – بفتح الطاء – : العين ، والرود – بضم الراء – : الفتاة الشابة .

ستشرب الروح راح الوقت كارهة
ويذهب الجسم بين الترب والـدود

أنشد المنتصر بن بلال الأنصارى :

***

صـافِ الصَّديق بِـوُدِّهِ وإذا دنـا شبراً فزدْه
واحلم إذا نطقَ السفيـه فَمَن يُرد جهلا يَجِدْه

***

أنشد على محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً
وخيِّرت : أنَّىٰ شئت ، فالحلم أفضـل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً
ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

***

من أبيات للمقنع الكندى :

يعاتبنى فى الدين قومى وإنمـا ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
أسدُّ به ماقد أخلوا وضيعـوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدًّا
وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمخلفٌ جـدًّا
فإن أكلوا لحمى وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس زعيم القوم من يحمل الحقدا
لهم جُلُّ مالى إن تتابع لى غـنى وإن قل ما لى لم أُكلفهم رفـدا
وإنى لعبد الضيف مادام ثاويـا وما لى سواها شيمةٌ تشبه العبدا

***

الصبر والاقدام

قرآن كريم (يـاأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين)(١) .

آيتان جمعتا كل تدابير الحرب عند اللقاء .

***

وصف الحرب (٢)

الحرب رَحىً ثِقالُها (٣) الصبر ،وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد، وثقافها الأَناة ، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة ، فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأَناة اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

***

قال أكثم بن صيفى يصف العمل فى الحرب :

أَقِلُّوا الخلاف على أُمرائكم ، فلا جماعة لمن اختُلف عليه ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبَّتوا ، فإنَّ أحزم الفريقين الركين ، ورُبَّ عجلةٍ تُعقب رَيثاً ، وادَّرِعوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، وتحفَّظوا من البيات .

---

(١) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ (٢) العقد الفريد جـ ١ ص ٩٣ .

(٣) الثقال ككتاب : جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق :

الحرب خـدعة

قال ابن الكلبى :

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه عِلْجُها : أن ابعث إلىّ رجلا من أصحابك أكلمه . ففكر عمرو وقال : ما لهـذا أحدٌ غيرى . قال : فخرج عمرو حتى دخـل على العِلْج ، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله . فقال العلج : حدِّثْنى : هل فى أصحابك أحدٌ مثلُك ؟ قال لا تسأل عن هـذا ، إنى هَيِّن عليهم إذ بعثوا بى إليك وعرّضونى لما عرَّضونى له ، ولا يدرون ماذا تصنع بى . قال : فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مرَّ بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه . فخرج من عنده فمرَّ على رجل من نصارى غسان فعرفه فقال : يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراده ، فرجع ، فقال الملك : ما ردَّك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتنى ، فلم أجد ذلك يسع بنى عمِّى ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ، اعْجِل بهِم ، وبعث إلى البواب أن خَلِّ سبيله . فخرج عمرو وهـو يلتفت ، حتى إذا أَمِنَ ، قال : لاعُدْتُ لمثلها أبداً .

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج ، قال له : أنت هو ! قال : نعم ، على ما كان من غَدْرك .

---

(١) بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال ، وأصح الروايات بفتح الخاء وسكون الدال ، أى اذا خدع المقاتل خدعة واحدة لم تكن له اقالة ، وينقضى أمر الحرب .